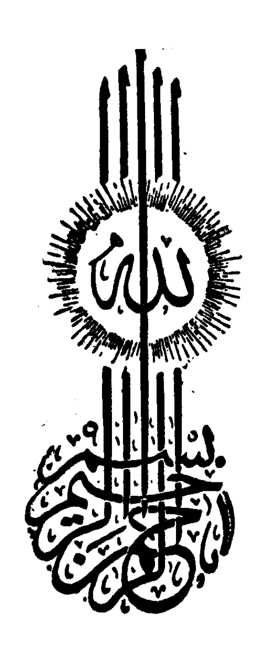
سياسة النفوس

تأليف
سنان بن ثابت بن قرة الحراني ٣٣١ هـ.

تحقيق وتعليق
د. عبد الفتاح أحمد الفاوي
كلية دار العلوم — جامعة القاهرة

الطبعة الأولى ١٩٩٢



مقدمة

الحمد لله رب العالمين . الصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه أجمعين ..

وبعد ..

فقد عنى القرآن الكريم بأمر الإنسان وخصه بحديث طويل ومفصل فى كثير من آياته بل إن القرآن الكريم كله من أجل الإنسان نزل فكل آية من آياته اما تعلق من ناحية أو أخرى بالإنسان .

وإذا كانت الموضوعات الرئيسية الكبرى فى الفلسفة وفى القرآن أيضا هى الله والعالم والإنسان فإن الألوهية ما عرضت فى القرآن إلا من الجانب الذى يتعلق بالإنسان وما عرض أيضا من آيات عن العالم والكون فى القرآن عرضت من الجانب الذى يهم الانسان كالنظر للتأمل والاعتبار أو الإشارة الى مفردات منه تفيد الانسان .

والإنسان جسد وروح وقد جاءت آيات القرآن متناولة كلا جانبيه وإن خصت جانب الروح منه باهتمام أكثر لأنه أفضل عنصريه .

والنفس من عالم الروح أو من عالم الأمر وردت فى القرآن فى أكثر من مائتى موضع مفردة ومجموعة مطلقة ومقيدة .

ويذكر العلماء أن القرآن تحدث أو قسم النفوس إلى ثلاثة أقسام :

نفس أمارة : وهى ما أشار إليها القرآن فى قوله تعالى : « وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء »[1] وسواء أكانت

---

(١) يوسف : ٥٣ .

هذه المقولة على لسان يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز فإنها تفيد أن فى النفس جانب شر مظلم وهو جانب الفجور المذكور فى قـوله تعالى : « فألهمها فجورها »[٢] وهو الجانب الذى تصدر عنه عيوب البشرية ونقائصها من الكذب والبخل والقتل والكفر « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى »[٣] .

وهو الجانب الذى سول لأحد ابنى آدم أن يقتل أخاه ولامرأة العزيز أن تراود فتاها . وهو الجانب الذى من أجله بعث الله الرسل والأنبياء ليعينوا الناس عليه ويقوموه فيهم بما جاءوا به من مناهج وشرائع وهو مسكن إبليس وأعوانه من البشر فيما أشار إليه القـرآن « من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس »[٤] ومحل غوايته « ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام »[٥] .

وهو جانب تحدثت عنه آيات عديدة من القرآن أشارت فى ثناها إلى بعض عيوب الانسان مثل : « إن الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا إلا المصلين »[٦] ومثل « ومن يوق شح نفسه »[٧] .

ونفس لوامة : وهى النفس التى ذكرها القرآن فى قوله تعالى : « فلا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة »[٨] .

تلوم صاحبها عند كل مخالفة وتحدث عنده الندم وتدعوه إلى

---

(٢) الشمس : ٨ .
(٣) الليـل : ٨ ، ٩ .
(٤) الناس : ٤ — ٧ .
(٥) النساء ١١٩ .
(٦) المعـارج ١٩ .
(٧) الحشر : ٩ .
(٨) القيامة : ١ ، ٢ .

التوبة والاستغفار . وهى النفس التى بها ندم آدم وحواء بعـد أكلهما من الشجرة « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا »[٩] .

وقدما التوبة : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه »[١٠] .

هى التى تفعل الخطأ لا عن عمد وترتكب المخالفة أو المعصية لا عن إصرار « فنسى ولم نجد له عزما »[١١] .

وإذا كانت النفس الأمارة هى التى دفعت أحد ابنى آدم أن يقتل أخاه « قال لأقتلنك »[١٢] فإن النفس اللوامة هى التى أحدثت عنده التوبة والندم بعد ذلك حين قال : « يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين »[١٣] وهى التى جعلت الأرض تضيق بالثلاثة الذين خلفوا « حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت »[١٤] .

وهى التى دعت يوسف عليه السلام أن يقول : « رب السـجن أحب إلى مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين »[١٥] .

ودعت نوح أن يقول : « قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين »[١٦] .

إلى غير ذلك من الإشـارات التى جـاءت عنها فى القـرآن الـكريم .

---

(٩) الأعـراف : ٢٣ .
(١٠) البقـرة : ٣٧ .
(١١) طـه : ١١٥ .
(١٢) المـائدة : ٢٧ .
(١٣) المـائدة : ٣١ .
(١٤) التـوبة : ١١١ .
(١٥) يوسـف : ٣٣ .
(١٦) هـود : ٤٧ .

ونفس مطمئنة جاءت فى قوله تعـــالى : « يا أيتها النفـــس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فأدخلى فى عبادى وادخلى جنتى »[١٧] .

والمشار اليها فى قوله تعالى : « فأما من أعطى وأتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى »[١٨] . وهى الملهمة للتقوى كما جاء : « فألهمها فجورها وتقواها »[١٩] والمزكاة « قد أفلح من زكاها »[٢٠] وهى الموعودة بالجنة « والسابقون السابقون ، أولئك المقربون فى جنات النعيم »[٢١] .

وحديث القرآن عن النفس أوسع من هذا التعميم وأشمل . وهو حديث يجمع بين الاشارة الى أنواعها وأهم صفاتها وسبل علاجها وطريق سعادتها . يهتم بالجانب العملى الخلقى أكثر من اهتمـــامه بالجانب النظرى .

وهو فى ذلك على العكس من حديث الفلسفة التى تهتم بالبحث عن أصل النفس وطبيعتها وجوهرها وتناسخها ومعرفتها وغير ذلك من المباحث النظرية فيها .

وكما أن النفس من الموضوعات الرئيسية فى القـــرآن الكريم فهى كذلك من الموضوعات الرئيسية فى الفلسفة تناولها الفلاســـفة من أقدم العصور وتحدث عنها أرسطو وأفلاطون وكانت محور فلسفة سقراط من قبلهما عندما قرأ على جدران معبد دلف « اعرف نفسك » .

ويختلف موقف القرآن عن موقف الفلسفة من النفس حيث أن الفلسفة أدرجت البحث عن النفس تحت القسم الطبيعى منها فبحثت

---

(١٧) الفجـــر : ٣٠ .
(١٨) الليـــل : ٥ — ٧ .
(١٩) الشمس : ٨ .
(٢٠) الشمس : ٩ .
(٢١) الواقعة : ١٠ — ١٢ .

النفس فى الطبيعيات مع المعادن والآثار العلوية والنبات والحيوان .

بينما يسمو بها القرآن عن عالم الطبيعة ويضعها فى عالم ما وراء الطبيعة عندما يسميها روحا ويقول فيها : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى »[٢٢] .

وإن كان ابن سينا من فلاسفة المسلمين . قد أشار الى ذلك أو تردد فى وضع النفس عندما يقول بجوهريتها وروحانيتها وخلودها لأن هذه المسائل من صميم الميتافيزيقا .

وأيا ما يكن فوضع النفس بمعزل عن الفلسفة الفيزيقية يعطى للانسان قدره ومكانته وهو أعون على معرفة أصله والغاية من وجوده ورجوعه الى ربه فالقرآن الكريم اهتم بالوجود الانسانى وكرم نوع الانسان وفضله على كثير من المخلوقات قال تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »[٢٣] .

بل اعتبر القرآن الكريم الانسان نفسه خليفة لله : « واذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة »[٢٤] .

هذا ولمعرفة النفس أهمية كبيرة فمعرفتها تؤدى الى معرفة البارى عز وجل فهى صراط الله الذى يفضى بسالكه الى الله تعالى . قال تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »[٢٥] ولذلك لم يكتف القرآن بحث الانسان على التفكير فى الكون وما به من ابداع ونظام فحسب بل حث الانسان أيضا على التفكير فى نفسه وما أبدع الله فيها من قوى مختلفة وأعضاء متعددة يقول تعالى :

---

(٢٢) الاسراء : ٨٥ .
(٢٣) الاسراء : ٧١ .
(٢٤) البقـرة : ٣٠ .
(٢٥) فصلت : ٥٣ .

« وفى الأرض آيات الموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون »[٢٦] ويقول :
« أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما
إلا بالحق وأجل مسمى »[٢٧] .

ومن عرف نفسه عرف كيف يدبرها ويسوسها فينتظم أمره ويستحق
أن يكون خليفة الله فى أرضه .

---

(٢٦) الذاريات : ٢٠ — ٢١ .
(٢٧) الروم : ٨ .

أولا ــ النفـــس

عــرض لأهــم المــذاهب

١ ــ النفس فى القــرآن الكريم ٠

٢ ــ النفس فى الفلســفة اليونانية ٠

٣ ــ النفس فى الفلســفة الاسلامية ٠

من معـانى النفس

النفس : لغة هى مجموع الشىء وحقيقته وذاته ، وتطلق كذلك على الروح . يقول ابن منظور : « ... والنفس فى كلام العـرب يجرى على ضربين : أحدهما قولك : خرجت نفس فلان أى روحه ، وفى نفس فلان أن يفعل كذا وكذا أى فى روعه . والضرب الآخر . معنى النفس فيه معنى جملة الشىء وحقيقته تقول : قتل فلان نفسـه وأهلك نفسه أى أوقع الاهلاك بذاته كلها وحقيقته[1] . وللنفس معان أخرى مثل العندية : « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك »[2] أى ما عندى وما عندك أو حقيقتى وحقيقتك ، وعين الشىء جاءنى بنفسه ، وقد تطلق ويراد بها العزة والهمة والأنفة والارادة والعقوبة ، قيل ومنه : « ويحذركم الله نفسه »[3] .

وبالتحريك واحد الأنفاس والسعة والفسحة فى الأمر وقد جاء ولا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن ، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن[4] . ولها معان أخرى غير ذلك .

وفى الاصطلاح : تطلق عند الحكماء بالاشتراك اللفظى على الجوهر المفارق عن المادة فى ذاته دون فعله وتعرف النفس الانسانية بأنها كمال أول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يدرك الأمور الكلية والجزئية المجردة ويفعل الأفعال الفكرية والحدسية[5] . وتسمى النفس الانسانية بالنفس الناطقة والروح .

والنفس وإن كانت مفارقة للمادة فى ذاتها فانها ليست كذلك

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ٢٣٣/٦ ، بيروت ، دار صادر ١٩٦٨ .
(٢) المـائدة : ١١٦ .
(٣) آل عمران : ٢٨ .
(٤) الفيروزبادى : القاموس المحيط ٢٦٤/٢ ، ٢٦٥ .
(٥) التهاونى : كشف اصطلاحات الفنون ١٣٩٧/٦ ، ١٣٩٨ .

فى أفعالها فهى فى ذاتها مجردة لا يمكن الاشارة الى ذاتها ولا تشغل حيزا من الفراغ ولا تدرك بأى حاسة من الحواس الخمس ، ولكن فى صدور الأفعال منها تفتقر الى آلة أو واسطة وهذه الآلة هى البــدن .

وقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية عن النفس ما نصــه :

« والنفس فى الاستعمال العام مبدأ أو مظهر غير مادى والتى مع البدن تكون شخصية الانسان ، والنفس بهذا المعنى يصح أن تطلق على كل موجود حى ، أو العالم بصورة عامة وحتى على بعض الأجسام غير الحية (كالكواكب) وتطلق أيضا على ذات الشىء ، ويرى البعض أن النفس هى مركز ومبــدأ الفعاليات والأنشــطة الفــكرية .

وهكذا نرى أن النفس يراد بها حياة البدن أى أن الحيــاة والتنفس والحركة منبثقة من النفس وحين الموت تخرج النفس من البدن وتتوقف كافة الأعمال الجسمية .

والنفس فى نظر القدماء موقعها إما القلب أو الدم أو الكبــد أو أى قسم من أقسام الجسم[٦] .

(٦)
The New Encyclopaelie Britannica : MIGROPA EDIA. 15 TH Edition, Volume IX, p. 363.

١ ــ النفس فى القــرآن الكريم

جاء استعمال لفظ « النفس » فى القرآن الكريم على معنيين : عام وخاص .

أطلقت فى الاستعمال العام على معان عديدة . على الفــرد من البشر كقوله تعالى : « من قتل نفسا بغير نفس »[١] .

وعلى انسان كما فى قوله تعالى : « خلقكم من نفس واحدة »[٢] فالمعنى بالنفس الواحدة آدم عليه السلام كما ذهب الى ذلك جمهور المفسرين . وعلى السر كقوله تعالى : « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك »[٣] أى تعلم سرى ولا أعلم سرك .

وأطلقت فى الاستعمال الخاص وأريد بها معناها المعروف « النفس الانسانية » اذ أن القرآن الكريم يثبت وجود النفس ويميزها عن الجسم ويشير اليها فى كثير من الآيات كقوله تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى »[٤] .

أى يتوفى الأنفس عند الموت وعند النوم إلا أنه يمسك الأنفس التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى وهى النائمة الى أجل مسمى أى الى وقت ضربه لموتها .

---

(١) المــائدة : ٣٢ .

(٢) النسـاء : (١) قال واحدة على تأنيث لفظ النفس فلفظ النفس مؤنث وان عنى به مذكر ويجوز فى الكلام من نفس واحد على مراعاة المعنى وهى قراءة ابن أبى عبلة ، انظر القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٢/٥ .

(٣) المائدة : ١١٦ .

(٤) الزمــر : ٤٢ .

فقوله تعالى : « يتوفى الأنفس حين موتها : أى يتوفى الأنفس التى نامت وما ماتت عند منامها وقوله : فيمسك التى قضى عليها الموت » أى النفس التى يتوفاها عند الموت يمسكها ولا يردها الى البدن ، وقوله : « ويرسل الأخرى الى أجل مسمى أى التى يتوفاها عند النوم يردها الى البدن عند اليقظة ، وتبقى هذه الحالة الى أجل مسمى وهو وقت الموت •

والنفس عبارة عن جوهر مشرق روحانى اذا تعلق بالبدن حصل ضوؤه فى جميع الأعضاء وهو الحياة •

وفى وقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر البدن وعن باطنه •

وفى وقت النوم ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه ولا ينقطع عن باطن البدن •

وهذا يعنى أن تعلق النفس بالبدن على ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يقع ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه وذلك هو اليقظة •

ثانيها : أن يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه وذلك هو النوم •

ثالثها : أن يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت[٥] •

ومن الاستعمال الخاص فى القرآن أيضا قوله تعالى : « ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم »[٦] أى أخرجوا أنفسكم من أجسادكم مما يدل على أن النفس مغايرة للجسد •

فيبدو أن القرآن الكريم يذهب الى تجرد النفس ومفارقتها عن المادة وأعراضها يدل على ذلك قوله تعالى : « ولا تقولوا لمن

---

(٥) انظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير ٢٦٦/٧ •

يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون »[٧] • فكيان الانسان — كما تشير الآية — بنفسه لا ببدنه لأنه بعد أن يموت يفنى بدنه ويندثر بينما تبقى نفسه حية خـالدة فلو لم تكن النفس مجردة لفنيت كما يفنى الجسم •

ومن الآيات الدالة على تجرد النفس قوله تعالى : « وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه »[٨] فبين أن الانسان بمجموعه خلق من شيئين متمايزين هما الجسم والروح فلو لم تكن الروح هى مصدر الحياة ولو لم تكن مجردة وبالتالى مغايرة للبدن لكان ذكر خلق الانسان يكفى باضفاء صفة الحياة عليه دون حاجة الى ذكر الروح •

وهذا يؤدى الى تساؤل : هل النفس والروح فى عرف القـرآن شيئان مختلفان ؟ أم أنهما شىء واحد ؟

الأظهر أنهما شىء واحد لما تدل عليه الآثار الصحاح من مثل حديث أم سلمة قالت : دخل رسول الله (ص) على أبى مسـلمة وقد شق[٩] بصره فأغمضه ثم قال : « إن الروح اذا قبض تبعه البصر » وحديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم تروا الانسان اذا مات شخص بصره • قال : فذلك حين يتبـع بصره نفسه[١٠] • وعنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تحضر الملائكة فاذا كان الرجل صالحا قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بهـا

---

(٦) الانعـام : ٩٣ •
(٧) البقـرة : ١٥٤ •
(٨) السجدة : ٧ — ٩ •
(٩) أى انفتح •
(١٠) الحديثان اخرجهما مسلم •

الى السماء .. الحديث[١١] . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : اذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها وذكر الحديث .

فهذا الجوهر المجرد من حيث تعلقه بالبدن يسمى بالنفس وهو بعينه باعتبار انفصاله عن البدن وقطع ارتباطه به يدعى بالروح . يتبين ذلك من استعراض بعض الآيات التى استعملت النفس بمعناها الخاص كما سبق فى قوله تعالى : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا »[١٢] حيث أطلقت لفظة النفس باعتبار تعلقهـا بالبدن إذ أن النفس ما زالت متعلقة بالبدن قبل الموت ، والموت هو انقطاع التعلق .

وفى قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت[١٣] ، إذ الموت المعنى فى هذه الآية هو قطع صلة النفس بالجسم ومن ثم أتى بكلمة النفس لأنها فى حالة الارتباط بالبدن ومثله قوله تعالى : « إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون »[١٤] .

أما اذا كان هذا الجوهر غير مرتبط بالبدن أى اعتبر مستقلا فيسمى حينئذ بالروح يؤيد ذلك قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى »[١٥] فالروح أو النفس هنا مجردة عن أى ارتباط بالبدن . أى اعتبرت بذاتها وحقيقتها بغض النظر عن الارتباط والتعلق .

والنفس أو الروح جوهر روحانى اذا تعلق بالبدن حصـل ضوؤه فى جميع الأعضاء وهو الحياة[١٦] .

---

(١١) اخرجه ابن ماجة .
(١٢) آل عمران : ١٤٥ .
(١٣) آل عمران : ١٨٥ .
(١٤) التـوبة : ٥٥ .
(١٥) الاسراء : ٨٥ .
(١٦) التفسير الكبير ٢٦٦/٧ .

وممن ذهب الى أن الروح والنفس بمعنى واحد ابن سينا[١٧] والغزالى[١٨] وابن القيم الجوزية حيث يقول : « وأما الروح التى تتوفى وتقبض فهى روح واحدة وهى النفس »[١٩] .

وقد وردت الروح فى القرآن الكريم بمعان أخرى غير النفس فجاءت تعنى القرآن فى قوله تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا »[٢٠] وقوله : « ينزل الملائكة بالروح من أمره »[٢١] وتعنى جبريل فى قوله تعالى : « نزل به الروح الأمين على قلبك »[٢٢] وقوله : « فأرسلنا اليها روحنا »[٢٣] وتعنى ملكا عظيما فى قوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا »[٢٤] .

وكما استعمل القرآن النفس فى عدة معان فقد استعمل القلب بمعنى النفس فى قوله تعالى : « إن الله يحول بين المرء وقلبه »[٢٥] والقلب هو النفس المدركة[٢٦] ، وكذا قوله : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب »[٢٧] .

---

(١٧) فى رسالته فى الكلام على النفس الناطقة ضمن أحوال النفس تحقيق د. أحمد فؤاد الاهوانى ١٩٥ .

(١٨) انظر : معارج المقدس فى مدارج معرفة النفس ١١ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٦ .

(١٩) الروح : ص ٢٢٦ .

(٢٠) الشورى ٥٢ .

(٢١) النحل : ٢ .

(٢٢) الشعراء : ١٩٣ .

(٢٣) مريم : ١٧ .

(٢٤) النبـأ : ٣٨ .

(٢٥) الأنفـال : ٢٤ .

(٢٦) محمد حسين الطباطبائى : الميزان فى تفسير القرآن ٢/٣٠ ، بيروت ١٩٧٣ ، ط ٣ .

(٢٧) الرعـد : ٢٨ .

٢ — النفس فى الفلسفة اليونانية

قبل أفلاطون لم يكن للفلسفة اليونانية اهتمام بالنفس وما وصل إلينا من أقوال حولها للفلاسفة السابقين على أفلاطون لا تعدو كونها آراء بسيطة تدور حول ماهية النفس فقط دون الخوض فى أية تفاصيل أخرى •

ويعتبر سقراط ٤٦٩ — ٣٩٩ ق٠ م أول من عنى بدراسة النفس بل اعتبر العلم هو العلم بالنفس وأتخذ لنفسه شعارا هو : « اعرف نفسك بنفسك » ولكنه كرس كل جهده فى دراسة صفات النفس وملكاتها وفضائلها فاحتل علم الأخلاق المكانة الأولى فى فلسفته[١] مما صرفه عن التعرض للمسائل الأخرى المتعلقة بطبيعتها وعلاقتها بالبدن •• الخ •

وربما كان مرد اهتمام سقراط بالناحية الأخلاقية دون غيرها هو صراعه العنيف مع السوفسطائيين كما هو معروف فى تاريخ الفلسفة •

وكان يرى أن النفس متميزة عن البدن ويعتقد أن الموت خلاص للنفس ، اذ إنها تخرج من سجنها وتعود الى نقائها فهى لا تفسد بفساد البدن[٢] •

ويبدأ البحث الجاد للنفس فى الفلسفة اليونانية مع أفلاطون الذى أضفى طابعا علميا نوعا ما على البحوث النفسية ، وتعرض للجوانب الميتافيزيقية منها بنوع من التفصيل فبين طبيعتها وأكد على روحانيتها وأثبت خلودها •

ويقوم مذهب أفلاطون فى النفس على التفرقة بينها وبين الجسم

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥١ ، ط ٢ ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٦ •

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية ٥٤ •

مع تأكيد فى الوقت نفسه على الصلة الوثيقة بينهما مما دعا أحـــد الباحثين[٣] الى القول بأن مذهبه فيها لا يخلو من غموض .

فالجسم — فى نظر أفلاطون — مادى حادث مصيره الى الزوال بينما النفس جوهر مجرد بسيط لا تتصف بصفات المادة بتاتا ولا تدخل فى نطاق المعرفة الحسية ، فلا يمكن رؤيتها بل تدرك بالعقل لأن « الأشياء التى تبقى فى ذاتها على نفس الحال من جهة أخرى فانه ليس من وسيلة للوصول اليها الا باستخدام العقل حيث إنها خافية ولا يمكن أن يدركها النظر »[٤] .

ويرى أفلاطون أن النفس « من طبيعة إلهية وأنها وجدت قبل أن نكون نحن بشرا »[٥] وهذا ما يؤكد رأيه فى تمايز النفس عن البدن وأن طبيعتها مجردة وليست مادية كما يشير أفلاطون فى نصه السابق الى قدم النفس حيث كانت فى « عالم المثل » ثم هبطت لخطيئة اقترفتها[٦] .

كما يذهب الى القول بتعدد النفوس وأن للبدن الواحد ثلاث نفوس : النفس الشهوانية والنفس الغضبية والنفس العاقلة[٧] وهذه الأخيرة هى الخالدة عند أفلاطون دون غيرها وهى التى عناها بقوله : « إن النفس الى جانب أنها لا تقبل الموت ستكون غير قابلة للفناء »[٨] .

---

(٣) يوسف كرم فى كتابه تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٨٩

(٤) افلاطون : فيدون ١٢٩ ترجمة عزت قرنى . دار النهضة ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٥) السابق ص ٢٠٧

(٦) تاريخ الفلسفة اليونانية ٧٤

(٧) افلاطون : طيماوس ٣٢٦ ترجمة فؤاد جرجس بربارة ، تحقيق البيريفو ، دمشق ١٩٦٨ .

(٨) فيدون : ٢٢٨

وأفلاطون له أدلة على خلود النفس أفرد لها محاورة خاصة باسم « فيـــدون » .

ولكنه ليس أول من قال بخلودها فقد سبقه الى ذلك الفيثاغوريون .

وقد بلغت الدراسات النفسية أوجها وتكاملها على يدى أرسطـــو فقد تكلم عنها بصورة علمية محددة وعرفها وشرح قواها شرحا تفصيليا .

ويبنى أرسطو مذهبه فى النفس على رأيه فى الهيولى والصورة وتركيب الأجسام منها فيرى أن الانسان جوهر مركب من مادة وصورة . البدن مادته والنفس صورته ، والصورة كمال للاجسام .

والنفس : كمال أول لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة[٩] .

والنفس عنده ليست صورة للجسم الصناعى[١٠] ولا لأى جسم طبيعى[١١] بل لجسم طبيعى آلى أى له أعضاء معينة .

ولكن رأى أرسطو فى أن المادة والصورة متلازمان لا يمكن الفصل بينهما ربما يعنى أن النفس تفنى بموت البدن . وبهذا يختلف أرسطو عن أفلاطون فى « مسألة خلود النفس » .

---

(٩) ارسطو : النفس ٤٢ ترجمة د. احمد فؤاد الاهوانى ط ١ الحلبى ١٩٤٩

(١٠) كالحائط والكرسى .

(١١) كالماء والنار .

٣ — النفس فى الفلســفة الاسلامية

اهتم الفلاسفة المسلمون بمسألة النفس وطهارتها وخلودها ، ويعتبر الكندى أول من تكلم عن النفس وأفرد لها بعض رسائله • ويعرفها بأنها : « تمامية جرم طبيعى ذى آلة قابلة للحياة »[١] وهو قريب من تعريف أرسطو إن لم يكنه •

والفلاسفة المسلمون وإن تابعوا أرسطو فى تعريفه للنفس غير أنهم خالفوه فى مسائل جوهرية عديدة مثل ماهية النفس وخلودها وغايتها ومصيرها •

فيذهب الكندى الى أن النفس جوهر بسيط مفارق للمادة تختلف عن البدن اختلافا بينا ، وهى لا تموت بموت البدن ، إذ النفس باقية والبدن داثر[٢] •

وبينما يرى أفلاطون ويقول بثلاث نفوس فى البدن الواحد هى : الشهوانية والغضبة والعاقلة يرى الكندى أن الشهوة والغضب قوتان من قوى النفس الناطقة وليستا نفسين حيث يقول : « وهذا دليل بين على أن القوة التى يغضب بها الانسان غير هذه النفس التى تمنع الغضب[٣] • فعنده أن النفس واحدة هى النفس الناطقة • أما ما يسميه أفلاطون بالنفس الشهوانية والنفس الغضبة فهى قوى للنفس كما عبر عنها الكندى بلفظة « القوة » آنفا •

ويرى الكندى أن كيان الانسان قائم بنفسه لا بجسمه فإنا بأنفسنا نحن ما نحن لا بأجساما لأن الجسم مشترك لكل ذى جسم[٤] •

---

(١) رسائل الكندى الفلسفية ، تحقيق د. محمد عبد الهادى أبو ريده ج ١ ص ١٦٥ مصر ١٩٥٠
(٢) الكندى ' رسائل الكندى الفلسفية ١٦٥ .
(٣) المصدر السابق ٢٦٧/١ .
(٤) رسالة الكندى فى العقل ، ضمن رسائل فلســفية ، تحقيق د. عبد الرحمن بدوى ص ١٣

النفس عند الفارابى :

يتابع الفارابى أرسطو فى قوله إن النفس صورة للبدن ولكن يخالفه فى اعتباره النفس جوهرا مجردا عن المادة . الأمر الذى جعل أحد الباحثين[٥] يرى شيئا من الاضطراب فى مذهب الفارابى فى النفس لأن القول بأن النفس صورة للبدن يتعارض مع القـــول بجوهريتها وتجردها .

وعلى أية حال فإن الفارابى يذهب الى أن النفس جوهر مجرد غير قابل للفناء يقول : « ... إن الروح الذى لك من جوهر عالم الأمر لا يتشكل بصورة ولا يتخلق بخلقه ولا يتبين باشارة ولا يتردد بين سكون وحركة فكذلك تدرك المعلوم الذى فات والمنتظر الذى هو آت وتسبح فى عالم الملكوت وتتنفس من خاتم الجبروت »[٦] .

وكما خالف أرسطو فى قوله بجوهرية النفس خالف أفلاطون والتناسخين فيما ذهب اليه من أن النفس لا وجود لها قبل البـــدن ولا تنتقل من جسد الى جسد .

وهو ينحو منحى دينيا فيما يتعلق بطبيعة النفس عندما يرى أنها جمعت بين عالم الخلق وعالم الأمر « لأن روحك من أمر ربك وبدنك من خلق ربك »[٧] مشيرا بذلك الى قوله تعالى : « ألا له الخلق والأمر »[٨] وقوله : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى »[٩] .

---

(٥) د. محمود قاســـم : فى النفس والعقل لفلاسفة الاغـــريق والاسلام ٧٦ .

(٦) نصوص الحكم ، ضمن الثمرة المرضية فى بعض الرسالات الفاراسية ص ٧١ .

(٧) فصوص الحكم ٧١ .

(٨) الأعـــراف : ٥٤ .

(٩) الاسراء : ٨٥ .

والمتبع لخصائص الأمر فى القرآن الكريم يجد أنه من عـــالم الملكوت : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء »[١٠] كما أن له خاصة أخرى جاءت فى قوله تعالى : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر »[١١] فتعبير كلمح بالبصر يفيد أن الأمر موجود دفعى الوجود غير داخل فى نطاق الزمان والمكان ولما كان الروح من الأمر فهو شيء غير جسمانى مجرد عن المادة وأغراضها .

واذا كانت الروح من أمر الله فإن البدن من خلق الله .

يشير الفارابى بذلك الى قوله تعالى : « وبدأ خلق الانســـان من طين »[١٢] وقوله : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين »[١٣] .

فالانسان فى القرآن الكريم مركب من جسم طبيعى (عالم الخلق) ونفس مجردة (عالم الأمر) وفرق بين الخلق والأمر أو عالم الحس وعالم العقل وسار الفارابى على هذا النهج للتمييز بين النفس والجسم وروحانية النفس .

وبهذا كان مذهب الفارابى فى النفس أقرب الى القرآن الكريم منه الى الفلسفة الاسلامية .

النفس عند ابن ســـينا :

يعرف ابن سينا النفس بأنها كمال للبدن وبالتالى فهى صـــورة له[١٤] .

---

(١٠) يس : ٨٢ ، ٨٣ .
(١١) القمر : ٥٠ .
(١٢) الســـجدة : ٧ .
(١٣) المؤمنون : ١٢ .
(١٤) الشفاء : الطبيعيات ٦ ، النفس ص ٦ وما بعدها .

أو كما يقول · كمال أول لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة من جهة ما يدرك الأمور الكلية ويفعل الأعمال الفكرية •

ومعنى ذلك أن ابن سينا يؤمن بنظرية أرسطو فى تركيب الجسم الطبيعى من مادة وصورة والصورة هذه على قسمين :

صورة منطبعة فى المادة ملازمة لها كصورة الشمع أو أى جسم آخر ، وصورة غير منطبعة فى المادة •

ومن النفوس نفوس منطبعة فى الجسم كنفوس النباتات والحيوانات ونفوس غير منطبعة فى المادة كالنفس الانسانية فهى عنده بسيطة مجردة حادثة بحدوث البدن إلا أنها غير مرتبطة به من حيث الفناء فهى خالدة لا تفنى •

فابن سينا يرى أن كل صورة كمال ولكن ليس كل كمال صورة منطبعة فى البدن • يقول : « ••• ثم كل صورة كمال وليس كل كمال صورة فإن الملك كمال المدينة والربان كمال السفينة وليسا بصورتين للمدينة والسفينة • فما كان من الكمال مفارق الذات لم يكن بالحقيقة صورة للمادة وفى المادة • فان الصورة التى هى فى المادة هى الصورة المنطبعة فيها القائمة بها »[١٥] •

---

(١٥) الشفاء : ٧ •

ثانيـــا ـ المخطـوطة ومؤلفهـا

١ ـ وصف المخطوطة ٠

٢ ـ تحليلها ودراســتها ٠

٣ ـ المؤلـف ٠

١ ــ وصف المخطــوطة

عام ١٩٨٠ وأثناء بعثتى لجمع المادة العلمية للدكتوراه بلنــدن عثرت على هذه المخطوطة ضمن مجموعة فى مكتبة المتحف البريطانى فقمت بتصويرها مع مجموعتها وأخذت أبحث لها عن نسخ أخرى لأقوم بتحقيقها ولكنى حتى الآن وقد مضى عليها أكثر من عشر ســنوات فى حوزتى لم أوفق فى العثور أو الحصول على نسخة أخرى لهــا لا أصلية ولا فرعية فعزمت على تحقيقها من واقع النسخة التى بين يدى وحدها حيث إنها مقروءة ويمكن الاعتماد عليها فى التحقيــق •

فالمخطوطة نسخة وحيدة موجودة بمكتبة المتحف البريطــانى بلندن •

تقع فى إحدى عشرة صفحة من القطع الكبير تليها رسالة أخرى تتضمن آدابا وحكما تقع فى أربع صفحات من نفس القطع •

مسطرتها ٢٧ سطرا مكتوبة بالخط النسخ المقروء ولم يوضــع عليها اسم كاتبها ولا تاريخ كتابتها ولكن يبدو أنها ان لم تكن النسخة الأصلية فهى قريبة منها ومن عصر المؤلف لدقتها وقلة أخطائها ، وليس على النسخة تصويبات أو تعليقات وربما كان ذلك لوضوح كتابتها وسلامة معانيها •

تبدأ المخطوطة بالبسملة بعدها بياض ثم عبارة رب أنعمت فزد •

وأولهــا :

« فكرت ليلة ما فى أن كثيرا مما غيب عنا حقيقته قبل حلوله قد جعل طريق الى حزره وحدسه وتقديره فينتفع بذلك وإن لم تعلم حقيقته » •

وأخــرها :

وآخرها :

« فما أقبح النقص بالقادر على التمام والعجز بالمتمكن من الكمال . وهذا خير ما نختم به القول فى الأخلاق . فالحمد لله شكرا لمواهبه ، وهو حسبى توكلا عليه وعلما بالرجوع إليه » .

ثم يقول كاتبها :

بحرت رسالة سياسة النفوس لسنان بن ثابت بن قرة الحرانى والحمد لله رب العالمين وهو معتمدى .

ويلحق بها رسالة أخرى :

رسالة تتضمن آدابا وحكمة يبدؤها ببسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين .

وأولها : أدب الدين قبل الدين — من لا أدب له لا دين له . أشرف الغنى ترك المنى .

وأخرها : تمت الملح الأدبية ولواحقها بمعونة الله تعالى ولطفه لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا .

٢ — تحليـل الرسالة ودراسـتها

تتميز رسالة « سنان » هذه بدقة التحليل وعمق الغور فى النفس الانسانية ومعرفة كثير من أسرارها وخفاياها • فالرسالة على قصرها فتحت أعيننا على كثير مما فى النفس الانسانية من معان وصفات وخلجات وخطرات يغفل عنها كثير من النـــاس أو يعرفونها ولكنهم يخفونها عن أنفسهم ويتظاهرون بتجاهلها •

ويمكن أن نحصر الأفكار الرئيسية للرسالة فيما يأتى :

— محاولة الانسان معرفة ما خفى عنه ولو حزرا أو تقديرا •

— متوسط عمر الانسان •

— الاستعداد لما بعد المـوت •

— دنيا الانسان تنتهى بموته •

— علاقة الانسان بغيره بعد موته •

— أوهام يتوهمها الانسان فيما بعد الموت •

— اعتقاد الناس فى اليوم الآخر •

— طريق سياسة النفوس •

تبدأ الرسالة ببيان أن ثمة أشياء كثيرة خفيت على الانسان وغيب عنه أمرها لأن الانسان محدود القدر والقدرة ولكن بعض ما غيب عنا نستطيع أن نحزره كما يحزر الزارع غلة أرضه والتاجر ما يريد أن يشتريه قبل أن يحرر مقداره •

فالناس كثيرا ما يتجاوزون العلم بالحاضر الى العلم بشىء ما مما فى المستقبل عن طريق الحدس والظن والتخمين لا التيقن لأن ذلك لله عز وجل •

فما يقوم به الانسان من الفأل والزجر والتنجيم وقراءة كتب السحر وأخبار الناس هو ما يحاول به معرفة الغيب ولكنه لا يستطيع علم حقيقته •

وقد يأتى الأجل للانسان بغتة وهو غافل لم يستعد لآخرته ولذلك فالأحزم أن يبادر الانسان بالتوبة ويستعد للآخرة •

وقد أقام المؤلف محاورة طريفة بينه وبين نفسه أو بينه وبين هواه أقام الهوى فيها مقام خصم يخاطبه ويحاوره حتى يصل الى اقناع نفسه بالاصلاح والاستقامة فيتساءل ما متوسط أعمار الناس وينتهى الى أنه ما بين الستين والسبعين ثم يتساءل وكم بقى من عمرى حتى الآن وقد جاوزت الخمسين • ثم ينتهى الى أن البدن يقشعر لمعرفة هذه الحقيقة وحال الانسان معها اذا عرفها كنائم استيقظ أو سكران أفاق أو أعمى كشف عن بصره •

والانسان فى هذه الدنيا على سفر ، ومن عزم السفر — مثلا — الى الصين استعد أعظم الاستعداد فما بالك بالسفر الى الآخرة ! ومن شأن المسافر أن يبرىء ذمته وينهى معاملاته ويخلص نفسه فيؤدى كل ما عليه ، أفلا ينبغى أن يفعل ذلك من يسافر الى الدار الآخرة وكأنه يشير هنا الى الأثر المروى فى موعظة أبى ذر : أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه ؟ قالوا بلى ، قال فسفر يوم القيامة أبعد ما ترون فخذوا منه ما يصلحكم ؟ قالوا وما يصلحنا ؟ قال حجوا حجة لعظام الأمور وصوموا يوما شديدا حره لطول النشور وصلوا ركعتين فى سواد الليل لوحشة القبور كلمة خير تقولها أو كلمة سوء تسكت عنها لوقوف يوم عظيم[1] •

ومما يتوهمه الانسان وهو مخطىء فى هذا الوهم ظنه أنه يحظى بشىء مما يخلفه بعد موته وتصوره أنه بعد موته سيشتاق الى ولده كما كان فى حياته وأنه يحبهم ويسره استقامة حالهم ويغمه أن يلحقهم سوء ويلتذ أن يكونوا بنعمة والأمر ليس كذلك لأن دنياه انتهت بموته وأصبحت دنيا لغيره وهو يظن أن يكون ولده على شاكلة ما تركه

---

(١) الحلية ١٦٥/١

عليه والأمر ليس كذلك أيضا فكم من يخلف ولدا فقيرا فيجعله الله أغنى منه وكم ممن يترك لولده يسارا وغنى عظيما فيفتقر من بعده ٠

ثم يورد اعتقادات الناس فى اليوم الآخر وأن منهم مؤمن ومنهم ملحد يعتقد أن الجزاء يقع فى الدنيا ولكن الواقع والعيان يكذبهم بكثرة من نجده يسلم من مكاره الدنيا من أهل المعاصى والكبائر المجمع على انكارها وينعم بأسبابها ويلتذ كما تجد من يبتلى ويمتحن بالفقر والمكاره من أهل الطاعات والمذاهب المرضية ٠

والمنكرون الجزاء بالكلية دنيا وأخرى يترتب على مذهبهم أن تكون الحيوانات والبهائم أكثر حظا وأسعد من الانسان واذا بطل كل ذلك وجب الاعتقاد باليوم الآخر وبالجزاء وعلى الانسان عندئذ أن يجعل لشهواته ولذاته قانونا يقصد فيه الى الاعتدال يقمع فيه سورة نفسه ويكسر حدتها وسطوتها ويذلل على التدرج عزتها ويسكن ثورتها لأنه اذا فعل ذلك كان خليقا أن يملك نفسه فتنقاد له شهوته وتتطبع بالعفة ويألف حسن السيرة ٠

أما من يرخى لشهوته عنانها فانها تستطيل عليه وتشمخ ولا يلبث أن تقوده الى ما يسؤوه ٠ والملوك والرؤساء أكثر معاناة من سائر الناس لأنهم أقدر على اللذات وأشد تمكنا منها ٠

ثم يرسم طريق سياسة النفوس : وأول خطوات هذا الطريق أن يكون المرء كريما لا يستبد وحده بمأكل أو مشرب ٠

وأن يستعين بالمال ويحتقره وينظر اليه بالعين الذى تستحقها فان المال مراد لغيره لا لذاته فالانتفاع بالأعواض التى يعتاض بها لا به ٠ فينبغى للسديد الرأى أن يزنه بوزنه فيكسبه من وجهه ويفرقه فى وجوهه ، وكلما كانت حاجة المرء الى المال أشد كان بذله له أفضل لمن يعرف ولمن لا يعرف ٠

وأن يكون حليما بعد أن يكون كريما ٠ فالغضبان بمنزلة البهائم والسباع يفعل ما يفعله من غير علم ولا روية ، وكما أن الكلب لو نبح

لم يكن من الحكمة الرد عليه بمثل نباحه فكذلك فى الغضب لا ينبغى أن يكون الرد من جنس العمل • فاذا استشعر الحكيم فى خصمه أنه بمنزلة البهائم صار هذا الاستشعار منه طريقا الى ضبط نفسه الغاضبة وذمها •

ومن معالم هذا الطريق أيضا محبة الناس جميعا والتودد اليهم والتحنن عليهم فالناس قبيل واحد تجمعهم الانسانية وتحل فيهم قوة إلهية هى النفس العاقلة وهى أشرف جزئى الانسان فهى التى صار الانسان بها انسانا وهى جوهر واحد فى جميع الناس فالنـــاس كلهم بالحقيقة شىء واحد وبالأشخاص هم كثيرون •

والملك لا يكون ملكا ما لم يكن محبا لرعيته رءوفا بهم لأن الملك ورعيته بمنزلة رب البيت مع أهله وأولاده وما أقبح برب البيت أن يبغض أهله وأولاده •

وعلى محب الكمال أن يعتقد أن العيوب والقبائح ليست خافيـــة عن الناس لأنهم موكولون بتتبع عيوب الآخرين وتعييرهم بها فذلك فى الناس غريزة ، والانسان ما لم يبلغ التمام لا يخلو من نقص يعاب به ويسوؤه أن يكون غيره أفضل منه •

ومن الخطأ أن يظن أحد — حتى الملوك — أن عيوبه مســـتورة عن الآخرين واذا أراد الانسان التأكد من ذلك فليعد الى نفسه فينظر هل يعرف لغيره عيبا كان يستره ويخفيه • فعيوب المرء ظاهرة وإن اجتهد فى اخفائها •

ثم يتحدث عن الرياسة ويرى أن شر الرياسات ما أخذ بالقهر • وألزم ما يجب للملوك والرؤساء عظم الهمة لأن عظيم الهمة تصغر فى عينه كل رذيلة وتحسن له كل فضيلة وملاك الأمر أن يتعرف الانسان عيوب نفسه حتى يمكنه توقيها والتحرز منها • وهذا فى الملوك أصعب لأن عيوبهم أبدا خفية عليهم •

وينبغى للمرء أن يجيز من يطلعه على عيوبه أكثر مما يجيز على المديح فان ذلك يدعو خواص المرء أن يعرفوه بعيوبه •

وقد تناول كثيرون من علماء المسلمين وفلاسفتهم موضوع النفس فى مختلف ما كتبوا من علوم وفنون فدرسوا النفس فى الفلسفة وفى الأخلاق وفى الاجتماع وفى التصوف وفى الأدب وشتى علوم الدين ، وذلك لأهمية هذا الموضوع وهل أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وجاءت الشرائع للبشر الا من أجل اصلاح هذه النفس ؟ وهل عمرت الدنيا الا بالانسان وأفضل عنصرى الانسان نفسه •

ومن ثم كان موضوع النفس الانسانية بارزا فى الفكر الانسانى عبر مختلف العصور ، ففى حكمة الشرق القديم نصادف آراء عديدة حول النفس وخلودها ومصيرها ، وفى الفلسفة الاغريقية نجد تعــدد الاتجاهات والآراء حول ماهية النفس وأصلها وقد توسع كل من أفلاطون وأرسطوا كثيرا فى دراستهما للنفس كما رأينا •

وعندما جاء دور الفلسفة الاسلامية أسهمت اسهاما كبيرا فى تطوير الدراسات النفسية وأضافت اليها الشىء الكثير شأنها فى ذلك شأن المسائل الفلسفية الأخرى التى خاضتها وأبدت رأيها فيها •

•• ورسالة ســنان بن ثابت التى بين أيدينا دليل على ذلك فرغم صغر حجمها الا أنها أضافت الجديد فكشفت الكثير من خصائص النفس وأسرارها ووضعت بعض الأسس والقواعد التى يجب أن تتبع فى تهذيبها وتقويمها مما يعد اضافة جديدة جديرة بالتنويه •

يتناول سنان من الانسان وهو بصدد حديثه عن النفس :

ــ حال الانسان بعد الموت •

ــ عيوب الانســان •

— التعامل مع الغضبان ،
— المــال •
المــلوك •

فعن حال الانسان بعد الموت يبين خطأ ما يتوهمه الانســان من أن حاله بعد الموت مثل حاله فى حياته من تعلقه بأهله وأولاده وتعرفه على أحوالهم واهتمامه بشئونهم والأمر ليس كذلك •

وعن عيوب الانسان يبين أنه مهما بالغ المرء فى سترها فهى مكشوفة عند الناس ومعلوم أمرها بدليل ما يعرفه هو من عيوب الآخرين ونقائصهم •

وفى الغضب والغضبان يرى أن الغضبان بمنزلة البهائم والسباع فيجب على المرء أن يقابل غضب الغاضب عليه بمثل ما يقابل نباح الكلب أو رمح البهيمة وكما أنه لا يستحسن عقوبة الكلب أو البهيمة على النباح أو الرمح بالرد عليه بمثل نباحه ورمحها فكذلك يجب أن يكون الحال مع الغضبان •

ويتحدث عن المال وكيف يكون التعامل معه • فينبغى أن يستهين المرء بالمال ويحتقره وينظر إليه بالعين التى يستحقها فان المال مراد لغيره لا لذاته لأنه فى نفسه غير نافع وانما النفع بالأعواض التى يعتاض بها •

والســديد فى الرأى عليه أن يزنه بوزنه فيكتسبه من وجهــه ويفرقه فى وجوهه ، وكلما كانت الحاجة الى المال أشد كان بذله أفضل لمن يعرف ولمن لا يعرف •

أما الملوك فيحلل نفوسهم وتصرفاتهم ويرى أنه يجب أن يكون الملك عظيم الهمة لأن عظم الهمة يصغر فى عينه كل رذيلة ويحسن له

كل فضيلة ، والملك لا يكون ملكا ما لم يكن محبا لرعيته محبته لأهله وولده وأن يجعل همته فعل الخير مع جميع الناس وأن يجيز من يطلعه على عيوبه أكثر مما يجيز على المديح .

وممن كتب فى النفس غير « سنان » « مسكوية » فقد تعرض فى كتابه « تهذيب الاخلاق » النفس ودرسها دراسة مفصلة ويذكر فى أول هذا الكتاب أن غرضه من كتابته أن نحصل لأنفسنا خلقا تصدر به عنها الأفعال كلها جميلة وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفــة فيها ولا مشقة .. والطريق فى ذلك أن نعرف، أولا نفوسنا ما هى وأى شىء هى ، ولأى شىء أوجدت فينا ؟ أعنى كمالها وغايتها ، وما قواها وملكاتها التى اذا استعملناها على ما ينبغى بلغنا بها هذه الرتبة العلية ، وما الأشياء العائقة لنا عنها ، وما الذى يزكيها فتفلح وما الذى يدسيها فتغيب ؟

وابن حزم (٤٥١) تناول النفس فى عديد من رسائله وكتبه ويوقف عليها كتابه : « الأخلاق والسير فى مداواة النفوس » الذى يقول فيه جمعت فى كتابى هذا معانى كثيرة أفادنيها واهب التمييز تعالى بمرور الأيام وتعاقب الأحوال بما منحنى عز وجل من التهمم بتصــاريف الزمان والاشراف على أحواله حتى أنفقت فى ذلك أكثر عمرى وآثرت تقييد ذلك بالمطالعة والفكرة فيه وزممت كل ما سبرت من ذلك بهذا الكتاب .

ويذكر فى هذا الكتاب كثيرا من حقائق النفوس التى اذا عرفت سهلت سياستها .

ويرى أن لذة العاقل بتمييزه ولذة العالم بعلمه ولذة الحكيم

---

(١) نشر بيروت ، دار مكتبة الحياة (من التراث العربى) .

بحكمته ولذة المجتهد لله عز وجل باجتهاده أعظم من لذة الآكل بأكله والشارب بشربه والواطىء بوطئه •

وأن النفوس لا تستوى فى استحسان الأشياء واستقباحها ولا تجتمع فى ذلك الا فى شىء واحد هو طرد الهم ••

ويورد فصولا كثيرة يبين فيها أسرار النفس ووسائل علاجها ، ومما يذكره من غرائب النفوس أن الغفلة فى النفس مذمومة ولكن استعمالها محمود[٢] •

وكثيرون أخرون كتبوا فى النفس من فلاسفة المسلمين إن كنا لا نستطيع حصرهم فإنا نستطيع أن نشير منهم الى ابن سينا والفارابى والغزالى[٣] الذى يعتبر كتابه (الأحيــاء) من أجمع ما كتب فى النفس • هذا الى جانب الصوفية وما كتبوه !!

---

(٢) كتاب الأخلاق والسير فى مداواة النفوس ، ص ٩٥ ورسائل ابن حزم ١٦٨ .

(٣) انظر الاخلاق عند الغزالى للدكتور زكى مبارك .

٣ ــ المــؤلف

أبو ســعيد ســنان بن ثابت بن قــرة

سنان بن ثابت بن قرة الحرانى يكنى أبا سعيد طبيب وأديب مؤرخ ورياضى وفلكى خدم المقتدر ت ٣٢٠ هـ ثم القاهر ت ٣٢٢ هـ والراضى ت ٣٢٩ هـ وتوفى ببغداد مسلما وله العديد من الكتب فى المجالات المختلفة مثل الفلك والرياضيات والدين •

ولد فى أوائل العقد السابع من القرن الثالث الهجرى تقريبــا حيث لم يذكر أحد ممن أرخ له تاريخ ولادته ولكنا نعرف أنه كان طبيبا للمقتدر بالله ــ الخليفة العباسى الذى تولى الخلافة سنة ٢٩٥ هـ وله من العمر ثلاث عشرة سنة • مما يرجح ما ذكرنا فى تاريخ ولادته •

أصله من حران ومنشؤه ببغداد وبها كانت وفاته ، لحق بأبيه فى معرفة العلوم واشتغاله بها وتمهره الراضى بالله فى صناعة الطب(١) وكان رفيع المنزلة عند المقتدر العباسى حيث جعله رأسا للاطباء وكان سبب ذلك أنه فى سنة تسع عشرة وثلاثمائة وصل الى علم المقتدر أن خطأ جرى على رجل من العامة من بعض الاطباء فمات الرجل فأمر ابراهيم بن محمد بن بطحا بمنع سائر المتطببين من التصرف الا من امتحنه سنان بن ثابت وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له من الصناعة فصاروا اليه وامتحنهم وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه وبلغ عددهم فى جانبى بغداد ثمانمائة رجل ونيفا وستين رجلا(٢) •

ومن طريف ما جرى فى امتحان الأطباء أنه أحضر الى سنان رجل مليح البزة والهيئة ذو هيبة ووقار فأكرمه سنان على موجب منظره ورفعه وصار اذا جرى أمر التفت اليه ولم يزل كذلك حتى انقضى

---

(١) ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء ٣٠٢ •

(٢) المصدر السابق والصفحة •

شغله فى ذلك اليوم ثم التفت اليه سنان فقال : قد اشتهيت أن أسمع من الشيخ شيئا أحفظه عنه ، وأن يذكر شيخه فى الصناعة . فأخرج الشيخ من كمه قرطاسا فيه دنانير صالحة ووضعها بين يدى سنان . وقال : ما أحسن أن أقرأ أو اكتب ولا قرأت شيئا جملة ، ولى عيال ومعاشى دار دائرة وأسألك ألا تقطعه عنى فضحك سنان وقال على شريطة أنك لا تهجم على مريض بما لم تعلم ولا تشر بفصد ولا بدواء مسهل إلا لما قرب من الأمراض قال الشيخ هذا مذهبى مذ كنت ما تعديت السكنجبين والجلاب وانصرف . فلما كان من الغد ، أحضر اليه غلام شاب حسن البزة مليح الوجه ذكى فنظر اليه سنان وقال له على من قرأت قال على أبى قال : ومن أبوك . قال الشيخ الذى كان عندك بالأمس قال نعم الشيخ . وأنت على مذهبه قال نعم . قال لا تتجاوز وانصرف مصاحبا[٣] .

ومن سمو مكانته عند الأمراء والوزراء أن الوزير على بن عيسى ابن الجراح وقع اليه فى سنة كثرت فيها الأمراض والأوباء توقيعا نسخته .

فكرت مد الله فى عمرك فى أمر من فى الحبوس وأنهم لا يخلون مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض وهم معوقون عن التصرف فى منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فى أمراضهم فينبغى أكرمك الله أن تفرد لهم أطباء يدخلون اليهم فى كل يوم ويحملون معهم الأدوية والأشربة وما يحتاجون اليه وتتقدم اليهم بأن يدخلوا سائر الحبوس ويعالجوا من فيها من المرضى ويريحوا عللهم فيما يصفونه لهم إن شاء الله تعالى ففعل سنان ذلك .

ووقع إليه توقيعا مشابها بشأن علاج أهل السواد ففعل سنان وكتب الى الوزير يستشيره فى علاج أهل « سورا » وأكثر أهلها

---

(٣) القفطى : تاريخ الحكماء ١٩٣ .

يهود فأذن له بعلاجهم بعد علاج المسلمين لأن الاسلام دين الرحمة للجميع[٤] .

ومن منجزات سنان بن ثابت الطبية أنه فى ٣٠٦ هـ أشار على الخليفة المقتدر بأن يتخذ بيمارستانا ينسب اليه فأمره باتخاذه له فى باب الشام وسماه البيمارستان المقتدرى وأنفق عليه من ماله فى كل شهر مائتى دينار . كما دعا غيره من الخلفاء الى انشاء البيمارستانات فأنشىء البيمارستان المعتضدى وكان الانفاق عليه من ارتفاع وقف سجاج أم المتوكل على الله .

وقد حكى ثابت بن سنان عن اقامة والده للبيمارستانات التى يخدم فيها المرضى فقال : إنه لما كان فى أول يوم من المحرم سنة ٣٠٦ فتح والدى سنان بن ثابت بيمارستان السيدة الذى اتخذه لها بسوق يحيى وجلس فيه ورتب المتطبيين وقبل المرضى[٥] .

ولا شك أن استجابة الحكام لدعوة سنان الى بناء المارستانات تعكس مكانته العالية عندهم ومنزلته العلمية وقدره وقدرته فى مجال الطب بوجه خاص .

بل إن ثقتهم فيه واطمئنانهم اه تجاوزت تلبية دعوته فى بناء البيمارستانات الى دعوتهم له وطلبهم منه أن ينصحهم وأن يقوم لهم أخلاقهم . وذلك فيما يحكيه ثابت بن سنان عن أبيه أنه لما مات الراضى بالله استدعى الأمير أبو الحسين « بجكم » سنان بن ثابت وسأله أن ينحدر اليه الى واسط .. فأكرمه ووصله وقال له : أريد أن أعتمد عليك فى تدبير بدنى وتفقده والنظر فى مصالحه وفى أمر آخر هو أهم الى من أمر بدنى وهو أمر أخلاقى لثقتى بعقلك وفضلك ودينك ومحبتك فقد غمنى غلبة الغضب والغيظ على وإفراطهما بى حتى أخرج الى ما أندم عليه عند سكونهما من ضرب وقتل وأنا

---

(٤) السابق ١٩٤ .

(٥) عيون الأنباء ٣٢٣ .

أسألك أن تتفقد ما أعمله واذا وقفت لى على عيب لم تحتشم أن تصرفنى عنه وتذكره لى وتنبهنى عليه ثم ترشدنى الى علاجه ليزول عنى فقال له والدى : السمع والطاعة لما أمر به الأمير ولكن ليستمع الأمير منى عاجلا الآن جملة علاج ما أنكره من نفسه الى أن يحينه التفصيل فى أوقاته •

ثم أورد له بعض النصائح التى يمكن بها علاج أخلاقه جملة فقال :

أعلم أيها الأمير : أنك قد أصبحت وليس فوق يدك يد الأحد من المخلوقين لأنك مالك لكل ما تريده قادر على أن تفعله أى وقت أردته وانك متى أردت شيئا بلغته أى وقت شئت لا يفوتك أمر تريده وأعلم أن الغضب والغيظ والحرد تحدث فى الانسان سكرا أشد من سكر النبيد بكثير فكما أن الانسان يعمل فى وقت السكر من النبيـــذ ما لا يعقل به ولا يذكره اذا صحا ويندم عليه اذا حدث به ويستحى منه كذلك يحدث له فى وقت السكر من الحرد والغيظ بل أشد •

فكما يبتدىء بك الغضب وتحس بأنه قد ابتدأ يسكرك وقبل أن يشتد ويقوى ويتفاقم ويخرج الأمر عن يدك فضع فى نفسك أن تؤخر العقوبة عليه الى الغد واثقا بأن ما تريد أن تعمله فى الوقت لا يفوتك عمله فى غد وقد قيـــل : « من لم يخف فوتا حلم » فإنك اذا فعلت ذلك وبت ليلتك سكنت فورة غضبك فإنه لابد لفورة الغضب من أن تسكن وأن تصحو من السكر الذى أحدثه لك الغضب ، وقد قيل أن أصح ما يكون الانسان رأيا اذا استدبر ليله واستقبل نهاره فاذا صحوت من سكرك فتأمل الأمر الذى أغضبك وقدم أمر اله عز وجل أولا والخوف منه وترك التعرض لسخطه ولا تشف غيظك بما يؤثمك فقد قيل : « ما شفى غيظ من أثم بربه » واذكر قدرة الله وانك محتاج الى رحمته والى أخذه بيدك فى أوقات شدائدك ، وهو وقت لا تملك لنفسك فيه ضرا ولا نفعا ولا يقدرك عليه أحد من المخلوقين ولا يكشف ما قد أظلك غيره عز وجل •

وأعلم أن البشر يغلطون ويخطئون وانك مثلهم تغلط وتخطىء ، وإن كان لا يجسر أحد على أن يوافقك على ذلك فكما تحب أن يغفر الله لك كذلك غيرك يؤمل عطفك وعفوك • وفكر بأى ليلة بات المذنب قلقا لخوفه منك وما يتوقعه من عقوبتك ويخافه من سطوتك واعرف مقدار ما يصل اليه من السرور وزوال الرعب عنه بعفوك ومقدار الثواب الذى يحصل لك من ذلك واذكر قول االه تعالى : « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم »[٦] •

فإن كان ما أغضبك مما يجوز فيه العفو ويكفى فيه العتـــاب والتوبيخ والقول والتهديد متى وقعت معاودة فلا تتجاوز ذلك واعف واصفح فإنه أحسن بك وأقرب الى الله تعالى والله سبحانه يقول : « وأن تعفو أقرب للتقوى » •

وليس يظن بك المذنب ولا غيره أنك عجزت عن التقويم والعقوبة ولا قصرت بك القدرة ، وإن كان مما لا يحتمل العفو عاقبت حينئذ على قدر الذنب ولم تتجاوزه الى ما يوقع الدين ويفسد به أمرك ويقبح عند الناس ذكرك فإنما يشتد عليك تكلف ذلك أول دفعة وثانية وثالثة ، ثم يصير عادة لك وخلقا وسجية ويسهل عليك •

يقول ثابت بن سنان فاستحسن « بجكم » ذلك ووعد أن يفعله وما زالت أخلاقه تصلح ووالدى ينهه عن شىء شىء مما ينكره منه من أخلاقه وأفعاله ويرشده الى طريق ازالته الى أن لانت أخلاقه وكف عن كثير مما كان يسرع اليه من القتل والعقوبات الغليظـــة واستحلى واستطاب ما كان يشير عليه من استعمال العدل والانصاف ورفع الظلم والجور ويستصوبه ويعمل به فانه كان يبين له أن العدل أربح للسلطان من الظلم بكثير وأنه يجمل به دنيا وآخرة وإن مواد الظلم وإن كثرت وتعجلت سريعة الفساد والفناء والانقطاع ••• تعود بخراب الدنيا وفســـاد الآخرة ، ومواد العدل تنمى وتزيد

---

(٦) البقرة ٢٣٧ •

وتدوم وتتصل ويبارك فيها وتعود بصلاح الدنيا وعمارتها وحصول الآخرة والفوز بها وحسن الذكر ما بقى الدهر •

فتبين ذلك وعرف صحته وابتدأ بالعمل به وعمل بواسط فى وقت المجاعة دار ضيافة وببغداد بيمارستانا يعالج فيه الفقراء ويعلمون وأنفق فى ذلك جملة ، ورفه الرعية وأرفقها وعدل فيها وأنصف فى معاملتها وأحسن اليها ورأى ما يجب • الا أن مدته فى ذلك لم تطل وقتل عن قرب والله أمر هو بالغة[٧] •

ولسنان تصانيف كثيرة من أهمها :

رسالة فى تاريخ ملوك السريانيين ، ورسالة فى الاستواء ، رسالة الى بجكم ورسالة الى ابن رائق ، رسالة الى ابن عيسى الوزير والرسائل السلطانيات والاخوانيات ، رسالة فى النجوم ، رسالة فى سهيل •

كتاب « التاجى » وهو فى أجزاء ويشتمل على مفاخر الديلم وأنسابهم وذكر أصولهم وأسلافهم وهو فى أخبار آل بوية وأيضا قد صنفه لعضد الدولة وتاج الملة • وقيل إنه صنفه لعضـــد الدولة أيضا رسالة فى الأشكال ذوات الخطوط المستقيمة التى تقع فى الدائرة • ورسالة فى قسمة أيام الجمعة على الكواكب السبعة ألفها لأبى اسحاق ابراهيم ابن هلال الصابىء • كما كتب رسالة فى شرح مذهب الصابئين • ولعله كتب هذه الرسالة لأن مولده كان فى حران وهى مقر السريان الوثنيين الذين عرفوا بالصابئة • ورسالة فى أخبار آبائه وأجداده ، ورسالة فى الفرق بين المترسل والشاعر كما أصلح كتاب أفلاطون فى الأصول الهندسية وزاد فيه كثيرا واستخرج كثيرا من المسائل الهندسية •

---

(٧) عيون الأبناء ٣٢٤ •

وأصلح عبارة أبى سهل الكوهى فى جميع كتبه وكان أبو سهل سأله ذلك[٨] .

ونقل الى العربية نواميس هرمس والسور والصلوات التى يصلى بها الصابئون .

هذا ومما يذكر أن ســنان أسلم على يد القاهر بالله خوفا منه ولم يسلم أحد من أهل بيته ولا من ولده لكنه ظل مسلما حتى مات ببغــداد[٩] .

وهكذا عاش سنان حياة مليئة بالجد والعلم والعمل وأفاد الناس بعلمه وعمله حتى كانت نهايته فمات بعلة الذرب وهو ماء يكون فى الكبد أو شىء يكون فى العنق فى الحمار والانسان[١٠] ورغم كونه طبيبا حاذقا ماهر فإن ذلك لم يغن عنه شيئا عند دنو أجله .

وتوفى ببغداد مسلما صبيحة يوم الجمعة مستهل ذى القعدة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة[١١] وقيل إنه مات فى الليلة التى صبيحتها يوم الجمعة .

---

(٨) انظر تاريخ الحكماء ١٩٥ ، عيون الانباء ٣٢٤ ، معجم الادباء ٢٦٢/١١ ، الاعلام ٢٠٦/٣ .

(٩) ابن الأثير : الكامل ١٦٠/٧ .

(١٠) معجم الأدباء هامش ٢٦٢ ، ٢٦٣ .



رابعــا ــ النــص

تحقيــق وتعــليق

رسالة سياسة النفوس

لسنان بن ثابت بن قرة الحرانى ٣٣١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أنعمت فزد

فكرت ليلة ما فى أن كثيرا مما غيب عنا حقيقته قبل حلوله قد جعل طريق الى حزره وحدسه وتقديره فينتفع بذلك وإن لم تعلم حقيقته .

فمن ذلك ما يفعله ...[١] بغلته قبل أن يحصدها فإنه يحزرها ويعلم مبلغها فينتفع بذلك الأن فى ذلك احتياطا وتهيئا للقوام وغيرهم وكذا ما يفعله التاجر بالمسألة عما يهتم شراه[٢] من أصنافه وكثرته يجلب[٣] منه أو قلته وعن نقاوة ...[٤] ونحو ذلك ليحدس بذلك على عواقب أموره .

ومثل هذا فى ساير الصنائع وغيرها كثير .

وكل ذلك الذى يفعل فليس فى شىء منه علم حقيقة ، وإنما هو حدس وتخمين وظن[٥] وتقريب ومما يجوز أن يخطىء ويصيب .

---

(١) كلمة غير مقروءة .

(٢) كذا ولعل صحتها بشرائه .

(٣) كذا ولعلها ما يجلب .

(٤) كلمة غير مقروءة ولعلها كساده او كيانه .

(٥) الحدس : الظن والتخمين والتوهم فى معانى الكلام والأمور والتخمين : الحدس والوهم والظن : التردد الراجح بين طرفى الاعتقاد الغير الجازم والظنة بالكسر التهمة والظنين المتهم والحزر التقدير والخرص . انظر القاموس المحيط .

ولعلم الناس بذلك واحساسهم بعظيم المتفق فيه ليس[٦] يقتصرون على ما يدلهم عليه فكرهم منه ، حتى إنهم قد توصلوا الى علم ما يحدث فى المستأنف بالحدث والظن اذ لا سبيل الى علم الحقيقة منه لتفرد الله عز وجل بعلم الغيب •

وذلك موجود فى الذى يفعلونه من الفأل والزجر[٧] والتنجيم وقراءة كتب السحر وأخبار الناس وأيامهم والاعتبار لها بكل جهة يقدرون عليها • وكل ذلك يخطىء ويصيب [و] لا يؤدى الى علم حقيقة •••[٨] •

ويمتد به الأمل فيأتيه الأجل بغتة وهو غافل لم يستعد لآخرته [فإن ذلك][٩] حق لا يدفع ويقين لا شك فيه •

الأجـــل :

فيجب أن تعلم أن الانسان إن طمع فى أن يطول عمره / حتى يكون أطول أهل دهره عمرا فقد غر نفسه وجل عنها ، ومال مع هواه على رأيه بالمحاباة • وإن هو خاف ألا يرتد إليه طرفه إلا وقـد أدركه[١٠] منيته ، وانه يكون أقصر الناس عمرا فقد يمـكن ذلك ويجوز •

---

(٦) كذا والاصوب ليسوا •

(٧) الفال ضد الطيرة كأن يسمع مريض يا سالم أو طالب يا واحد جمعه فئول وافؤل والزجر : اثارة الطير للتفائل به والزجر العياذة والتكهن • انظر القاموس المحيط •

(٨) كلام مطموس ولعله لا يعتد به •

(٩) كلام مطموس ولعله ما ذكرنا •

(١٠) كذا والأصوب أدركته •

التـــوبة :

فالأحزم والأصوب أن يبادر بالتوبة والزهادة والاســتعداد لآخرته ، غير أنه يكون فى ذلك و فى مرضه وخوفه كأنه لم يحســن الظن بربه ولم يعتدل فى ظنونه ولم يتوسط فى أمره وقد استظهر لمكانة[١١] على هواه .

مخاصمة الهــوى :

وإنما عرضنا إقامة الهوى مقام خصم يخاطبنا ونخاطبه وكلما استوفينا حجته واستقصيناها له ثم نقضناها عليه ، وسلمنا له فوق ما يجب له ثم ألزمناه مع ذلك الحجة واتجه عليهم الحكم ، فقام على خطابه البرهان كان أوضح للحق وألزم للحجة ، فأذهب الشــك وأقرب الى اذلاله وأعون لنا على غلبته .

فأقول على هذا القياس :

متوسط الأعمـــار :

يا نفسى هبى رأيت فى النوم أن عمرى أوسط الأعمار . فقد رأى جماعة فى اليوم[١٢] مقدار عمرهم فصح ، أو أوأنى قورن[١٣] بامثلى إن لله لعمر فى أوسط الأعمار[١٤] هلمى لتنظرى أى الأعمار هو أوسط أعمار أهل دهرنا[١٥] فوجدتنى إن تمت مائة سنة كنت جائرا

---

(١١) ليست واضحة تماما .

(١٢) كذا وصحتها فى النوم .

(١٣) كذا فى الاصل ولعل صحتها قورنت بمثلى .

(١٤) كلام غير مفهوم ولعله يقصد فلو قدر الله لمثلى عمرا فى اوسط الأعمـــار .

(١٥) يختلف متوسط الأعمار من عصر لعصر كما يقول العلماء فمتوسط أعمار القرون الأولى وبدء الخليقة اطول من متوسط اعمار هذه القـــرون وقد مكث نوح فى قومه الف سنة الا خمسين عاما . كما أن متوسط الاطوال والاحجام أقل فى هذه القرون مما كانوا عليه فى القرون الأولى .

لأنا لا نعلم الآن فى بلدنا هذا إلا ثلاثة نفر أو أربعة على سعته وكثرته أهله وهم ابن بنت، منيع وندر بن الهيثم ولعله نفسان آخران •

ثم نزلت الى التسعين سنة فلم أجدها أيضا عمرا متوسطا بل طويلا ، ونحو ذلك الى الثمانين الى أن انتهيت الى السبعين فكأنى وقفت عندها لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أوسط أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين سنة ، والأكثر منهم لم يبلغ السبعين سنة ، ولو فتش عـــن مقبرة مقبرة لوجد أكثرهم من سنه والى[١٦] دون السبعين ، ومن تعداها فيسير •

فلما ألزمت نفسى بهذا وغيره بهذه الحجة • نظرت فوجدتنى قد استوفيت ستين سنة ، بل تجاوزتها ، ووجدت ما بينى وبين السبعين دون العشرة[١٧] سنين ، فأحببت تأمل قدر هذه العشرة تأملا كالمعاينة ففكرت فيما بين السنة الخمس[١٨] من عمرى الى وقتى هذا وتذكرت فيما تصرفت فيه فوجدتها مدة قصيرة جدا صغرت فى عينى فأوحشنى ذلك وحشة شديدة • ومنه فكرى وتصورى قرب الأجل ، وراعنى تأخر النظر لنفسى وغفلتى بالوقت أوسع على والمدة أطول والاستعداد أملى ، فاقشعر والله بدنى ، وكنت كنائم استيقظ ، أو سكران أفاق ، أو أعمى كشف عن بصره فأضاء له ما كان مظلما بتيقظى وانتباهى ، وأحسست بحلاوة لذلك فى قلبى عجيبة ، وكأننى حللت من عقال وأخرجت من ضيق حديد الى سعة وفرج أو سقط عن ظهرى حمل ثقيل •

الاستعداد للآخـــرة :

ثم قلت لنفسى يا نفسى انى لو / عزمت على المسير بعد هـــذا المقدار من المدة الى الصين أو بلد آخر بعيد ، تؤمل الرجوع من مثله ،

---

(١٦) الأصح حذفها •

(١٧) كذا وصحتها عشر السنين •

(١٨) كذا وصحتها الخامسة •

لو كان الغور فيه شديدا فى بره وبحره ، والحوادث فيه غير مأمونة لكان قد آن لى [أن] أتأهب حق التأهب وألا أدع شيئا يسعد به السفر البعيد ، أو المخوف الهائل أقدر عليه إلا استظهرت لنفسى باعداده وأنفاق الجهد فيه ، وقطع كل حساب وتبعة بينى وبين معاملى واستحلالهم كما يفعل كل مسافر الى بلد بعيد • وكيف بسفر عن دنيا يقينى أنى لا أرجع اليها ولا الى أهلى ولا الى شىء مما جمعته فيهـا •

فتأملت مفارقتى ذلك أجمع عن قريب ، وأن ما أخلفه لولدى إذا وضعت أنه حلال اننى لست أحظى منه بشىء اذا فارقته وحصل لهم ولم أقدم جميعه لأخراى واختص به لنفسى •

علاقة الميت بالدنيـا :

وخيل لى أنه إنما يقع الغلط للانسان فى ذلك لأنه يتصور أنه اذا مات بمنزلته وهو حى • يشتاق الى ولده وإخوانه كما يشتاقهم فى الدنيا ، ويحبهم كما كان يحبهم ، ويسره استقامة حالهم ، ويغمه أن يلحقهم سوء ، ويلتذ أن يكونوا بنعمة وبمنزلته لو انتقل فى الدنيا من دار الى دار [لا] تشغله عنهم فيها شاغل ويعرف أخبارهم ساعة ساعة • وليس يتصور حاله التى ينتقل اليها ولقاء عمله وشغله بنفسه عما وراءه بصورتها[١٩] •

ومع ذلك فكم ممن يخلف ولدا فقيرا فيجعله الله أغنى منـه ، وكم ممن يخلف لولده يسارا عظيما فيفتقر •

ووجدت أمر الدنيا والأرزاء عليها والى هدفتها واستجهال من

---

(١٩) كأنه يشير هنا الى قوله تعالى : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » عبس ٣٧ •

يحرص عليها شيئا لا يمكن لسائر أهل الأديان كلهم ولا من لا دين له أن يدفعه فإنما يخالفنا فى أمر الآخرة الملحدون •

مذاهب الناس فى الجزاء الأخروى :

ومن أهل الأديان من يدعى أن الجزاء إنما يتم فى الدنيا ولا يقر بمعاد وآخرة والبعث والنشور • فأما استجمال من يرغب فى الدنيا ويحرص عليها فالاجتماع[٢٠] عليه واقع فما العذر إذ ن فى تأخير عتق رقابنا من التعبد لها وراحة قلوبنا وأبداننا من التعب فى اقتنائها الى أن نلزم الحجة من خالقنا فى أمر الآخرة • ما أقدر [أن] أتعلـق بعذر وإن ضعف وأقول :

أما المعترف بالجزاء إنه يقع فى الدنيا وإن كان العيان يكذبهم لكثرة من يجده يسلم من مكاره الدنيا من أهل المعاصى والكبائر المجمع من كل سليم القريحة سوى الفطرة على أفكارها ويقيم فيها وينعم بأسبابها ويلتذ ، ومن يبتلى ويمتحن بالفقر والمكاره من ذوى الطاعة والمذاهب الرضية ، فالحجة تلزمهم من قرب لاعترافهم بالجزاء فى استصابة سبل أهل الطاعة واجتهادهم فيها •

فأما الملحدون المنكرون للجزاء بالكلية فلا بد لهم من الاعتراف بأن الانسان مؤلف من نفس وبدن وأن النفس أشرف الجزئين ، وأنا لو تخيلناها مفردة / لتخيلنا معها الفهم والتمييز وغيرهمـا من أدواتهما • ولو تخيلنا وتأملنا البدن بعد مفارقتها له لم نجد فرقـا بينه وبين سائر الهوامد •

وعند اجتماعهما فى الاجماع[٢١] على أن اللذات البدنية من المآكل والمشارك والمناكح وما شاكلها دنية ، وإن فعل الخير ومكارم الاخلاق وسائر اللذات النفسانية هى أشرف وأجل •

---

(٢٠) كذا ولعلها فالاجماع •

(٢١) لعلها فالاجماع •

ونرى الاجماع على من اختار تلك كان منسوبا عند النـــاس كلهم الى الدناءة والسقوط ومشاكلة البهائم ومن اختار هذه فمنسوب عند جميعهم الى الشرف والفضل وحسن الاختيار واذا اعترفوا بذلك لزمهم أن يعملوا به ولا ينكروا شيئا من أفعالنا فى رفض لدنيا ولا فى العمل فى الآخرة[٢٣] • ولزوم الأخلاق الرضية والمذاهب الجميلة الا أنا نعمل بذلك طاعة اله وثقة بجزائه واعترافا بالآخرة ، وعلما بما تشتمل عليه من ثواب وعقاب ، ورغبة مع ذلك فى نفسى الفضيلة و لخير لذاتهما ، وتلزمهم أن يعملوا بتلك الفضيلة لا لانتظار الجزاء • فهم لأمرنا غير منكرين ونحن لاعتقادهم جاحدون • فقد وجب أن نرفض ونزهد فى الدنيا •

جمـــع المـــال :

وإن كان الحرص على كسب المال وشكر جمعه وادخاره للنفس أو للعقب فالتشاغل بذلك وبحراسته عن أمر الآخرة [قبيح] •

ووجب أن نثابر على المواساة والصدقة وفعل الخير وســائر ما أمر الله به على ألسن أنبيائه ورسله عليهم السلام • وكل ذلك باجماع ، وليس فى هذه الجمل خلاف ، وإما الخلاف فى التفضيل وفى وجوه العبادة وطرقها ، وأنها تؤدى الى النجاة والسعادة الى جميــع أهل الأديان اليها يقصدون وعلى[٣٣] اختلافهم فيها يؤدى الى الهلكة ، حتى إن أكثر أهل الأديان يرى الصـــيام ومنهم يرى[٣٤] عنـــه جهلا وطلالة ومنهم الملك ورسومه وأخبار الحكماء وأخلاقهم وسير الملوك الأخيار وعاداتهم[٢٥] •

---

(٢٢) ... كذا والصحيح للاخرة .

(٢٣) كذا والصحيح حذفها .

(٢٤) لعلها يربأ .

(٢٥) من أول قوله وطلاله الى وعاداتهم ليس مفهوما ولا متسقا مع الكلام .

الشـــهوة :

وينبغى للانسان التام ولمن يطلب التمام أيضا أن يجعل لشهواته ولذاته قانونا راتبا يقصد فيه الاعتدال ويتجنب السرف والافراط ، ويعتمد من الشهوات واللذات المعتدلة ما كان من الوجوه المرتضـــاة المستحسنة ويأخذ نفسه بذلك ويحظر عليها الطمع فى لذة مكروهة أو شهوة مسرفة ، ونهم أصحاب اللذات ومعاشرتهم وينقبض عـــن الخلعاء ومخالطتهم ، ويشعر نفسه أن الشهوة عدو مكاشح وخصم مكافح ، يريد أبدا ضرره وأذيته ويعتمد شينه وفضيحته فيناصب شهوته العداوة ويكاشفها بالمعاندة ، ويقمع أبدا سورتها ويكسر أبدا حدتها ، ويفهم دائما سطوتها ، ويذلل على التدرج عزتها ، ويسكن على الترتيب فورتها .

فإنه إذا فعل ذلك كان خليقا أن يملك نفسه فتنقاد له شهوته ، وتنطبع بالعفة ، ويألف حسن السيرة / ومتى أرخى لشهوته عنانها ، وســـمح لها فى مرادها وأهمل سياستها ومراعاتها استطالت وشمخت ولم تلبث أن توهن صاحبها وتقوده وتخمله على ما يسوؤه ويضره ، ويصير بذلك بعيدا من المتام وغير طامع فى الكمال .

وينبغى لمن يطلب التمام أن يعلم ألا سبيل له الى بلوغ غرضه ما دامت اللذة عنده مستحسنة والشهوة مستحبة . وهذا[٢٦] الحال صعبة جدا ، متعسرة على طالبها بعيدة المأخذ وهى على الملوك والرؤساء أصعب وأبعد لأن الملوك والرؤساء أقدر على اللذات وأشد تمكنا .

والشهوات والذات لديهم معروضة ولهم سجية وعادة فمفارقتها عليهم متعذرة ، واعراضهم عنها كالشىء الممتنع خاصة لمن قد نشأ منهم على الانهماك فيها والتوفر عليها .

---

(٢٦) كذا والأصوب وهذه .

إلا أن الملوك وإن كانوا أقدر على اللذات وأكثر اعتبارا لها فهم أعظم همما وأعز نفوسا فالمحصل منهم اذا سمت همته الى التمام الانسانى واشتاقت نفسه الى الرئاسة والحقيقة علم أن الملك أحـــق بأن يكون أتم أهل زمانه وأفضل من أعوانه ورعيته فيهون عليه مفارقه الشهوات الردية وهجر اللذات الدنية .

الـــــكرم :

وينبغى لمن رغب فى سياسة أخلاقه وسلك طريق الاعتدال فى شهواته أن يجعل ما يفيض عليه من المآكل والمشارب مقرونا بالكرم . وهو ألا يستبد بالمآكل والمشارب وحده ، بل يقصد أن يشرك فيما له من ذلك اخوانه وأوذاه ... كذا[٣٧] إن كان رعية وسوقه ، وإن كان ملكا أو رئيسا فيجمع عليه حاشيته وندماءه ، ويغمر به أصحابه وأعوانه ويتفقد بفضائله أهل الفقر والمسكنة ، وخاصة من سبقت له معرفة أو تقدمت له حرمة ، ويصرف الى ذلك شطرا من عنايته فإن اعتيادها بما يصل اليهم من بره أكثر من اعتياد حاشيته وأصحابه وليظهر لمن يجتمع على طعامه وشرابه من إخوانه وأصدقائه أو رعيته وندمائه إن كان ملكا أو رئيسا أن جمعه لهم للأنس بهم والسرور بمعاشرتهم لا ليكرمهم بطعامه وشرابه ، ولا لأن لذاك قدرا يعتد به . وليحترز كل الاحتراز من أن يبدو منه امتنان بالطعام والشراب أو يبيح به . فأن ذلك يزرى بصاحبه وينقص منه ، ويوحش من يغشاه ويقطعهم عنـــه .

وقد يستحسن من الانسان أيضا اذا كان مقلا أيضا أن يواسى بطعامه إخوانه وإن كان محتاجا اليه ويستحسن منه أيضا أن يواسى به الفقراء والضعفاء ، وقد يستحسن أيضا أكثر من ذلك أن يؤثر

(٣٧) ولعل المقصود بها وذويه .

الانسان بطعامه وشرابه غيره وان كان شديد الاضطرار اليه وكان لا يقدره على غيره[٢٨] .

المـــال وما ينبغى فيـــه :

وينبغى لمن طلـــب السياسة التامة أن يستهين بالمـــال ويحتقره وينظر إليه بالعين / الذى[٢٩] الذى يستحقها فإن المال إنما يراد لغيره وليس هو مطلوبا لذاته فإنه فى نفسه غير نافع ، فإنما الانتفـــاع بالأعواض الذى يعتاض به .

فالمال آلة تنال بها الأعراض فلا يجب أن يعتقـــد أن اقتناءه وادخاره مفيد ، فانه اذا ذخر وحرس لم ينل صاحبه شـــيئا من الأعراض التى هو بالحقيقة محتاج اليها .

فالمال مطلوب لغيره فينبغى للسديد الرأى العالى الهمة أن يزنه بوزنه ، فيكتسبه من وجهه ويفرقه فى وجوهه[٣٠] ويكون مع ذلك غير متوان[٣١] فى اكتسابه ، ولا مفتر فى طلبه . لأن عدم المال يضطره الى التواضع لمن دونه اذا وجد عنده حاجته ، ووجود المال يغنيه عمن هو فوقه ، وان دنت منزلته .

ويكون أيضا غير مدخر له ولا متمسك به بل يصرفه فى حاجاته وينفقه فى مهماته ويقصد الاعتدال فى تصريفه ، ويحذر من السرف والتبذير فى تخريجه ولا يمنع حقا يجب عليه ؛ ولا يصرفه فى شىء لا يجب ولا يشكر عليه .

---

(٢٨) يشير بذلك الى قوله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » الحشر ٩ .

(٢٩) كذا فى الأصل والأصوب التى .

(٣٠) يشير بذلك الى ما جاء فى الحديث : ... ويسأل عن ماله مم جمعه وفيم أنفقه .

(٣١) فى الأصل متوانى .

فإذا فرغ من حاجاته واستكفى من نفقاته وسد جميع خلله عاد الى النظر فى أمره • فإن كان بقى من ماله بقية فاضلة عن مهم أعراضه أخرج منها قسطا يجعله عدة يستظهره بها لشدة ويعدها لنائبة • ثم عمد الى الباقى ففرقه فى ذوى الحاجة من أهله وأقاربه واخوانه وأهل مودته ، وجعل منه قسطا للضعفاء والمساكين وأهل الفاقة المستورين ويجعل اهتمـامه بأفضاله وبره أكثر من اهتمـامه بضروراته فإن الضروريات تقوده كرها اليها ، والبر والتواصل متى لم يهتم لها ويشعر نفسه التزامها لم يسهل عليه فعلها لأن ضعف النفس وسوء الظن يصرفانه عنها ، فإن لم يكن له جاذب من نفسه وراع قوى من همته لم يقدم عليها ، وغلب عليها التوانى عنها ، فإذا توانى عـن البـر والتفضل كان شحيحا ضنينا بخيلا دنيا وليس بسام • بل ليس بالحقيقة انسانا من لم يكن له بر يعرف ، ولم تنتشر عنه أفعال توصف • هذا إن كان من أوساط الناس •

فأما الملوك والرؤساء فإنهم أحق بهذه السـياسة ويجب أن يكونوا بذلك أشد عناية فيجمعوا الأموال و [يعرفوا][٣٢] حقهـا وواجبها ويصرفوا منها فى نفقاتهم ومروءاتهم وأرزاق جندهم وأصحابهم قدر الكفاية من غير سرف ولا تقتير ويعدو منه شـطرا لخوف عاقبة ويصرفوا الباقى فى طرق الكرم والجود ووجوه الخير والبر فيعطوا أهل العلم على طبقاتهم ويجعلوا لهم رواتب من خواص أموالهم ، ويصلوا الشعراء على أشعارهم والخطباء وأهل الأدب على آدابهم ، ويبروا الضعفاء والمساكين ويتفقدوا الغرباء والمجتازين ويهتمـوا بالزهاد وأهـل النسك ويخصوهم بقسـط من أفضـالهم وأنعامهم فالصغير والكبير من رعيتهم / وينفقوا فى مصالحهم شطرا من أموالهم ، فإن الملوك أولى بالكرم من الرعية وأحق بالجود من العامة •

وقد يستحسن أيضا من المقلين والمقترين المواساة بالمال والايثار

---

(٣٢) غير موجودة بالأصل والسياق يقتضيها •

به ولو كانوا محتاجين إليه ، وكلما كانت حاجتهم اليه أشد كان ذلك الفعل أحسن • وهذه الحال تستحسن اذا رأى الرجل أخا من إخوانه أو صديقا يختص به وقد دعته الحاجة الى مال لا يقدر عليه لاصلاح شيء من شأنه أو لدفع محنة نزلت به ، وكان هو قادرا على ذلك القدر والمال فيبتدىء باسعافه به عفوا من غير مسألة وإن فعل هذا الفعل مع الغريب الذى لا يعرفه ولم يسبق له حرمة ولا مودة كان جميلا مستحسنا •

معاملة الغضبان :

وينبغى لمحب الكمال أن يشعر نفسه أن الغضبان بمنزلة البهائم والسباع يفعل ما يفعله من غير علم ولا روية فإذا جرى بينه وبين غيره محاورة أدب اللسان [أن] يغضب خصمه ويسفه عليه [و] اعتقد فيه أنه فى تلك الحال بمنزلة البهائم والسباع يتمسك عن مقابلته ويحجم عن الاقتصاص منه ، لأنه يعلم أن الكلب لو نبح عليه لم يكن يستجيز مقابلته على نبحه ، وكذلك البهيمة لو رمحته لم يستحسن عقوبتها لأنها غير عالمة بما تصنعه إلا أن يكون جاهلا سفيها فإن من السفهاء من يغضب على البهيمة اذا رمحته ويوجعها ضربا اذا آذته ، وربما عثر السفيه فشتم موضع عثرته ورفسه برجله ، فأما الحكيم الوقور فلا يستحسن شيئا من ذلك •

فإذا استشعر فى خصمه أنه بمنزلة البهائم صار هذا الاستشعار منه طريقا الى ضبط نفسه الغضبية وذمها فإن أذاه مؤذ لغير سفه وأدى ذلك الأذى الى حال تغضبه أنف أيضا من الغضب مع استشعاره أن الغضبان والبهيمة سواء فيعدل حينئذ الى مقابلة مؤذيه بما يقتضيه الرأى من حيث لا يظهر فيه غضب ولا سفه •

وينبغى لمحب الكمال أيضا أن يعود نفسه محبة الناس أجمع ، والتودد إليهم ، والتحنن عليهم ، والرأفة بهم ، والرحمة لهم •

النفس الانسانية :

فإن الناس قبيل واحد متناسبون تجمعهم الانسانية وتحلهم قوة الالهية ، هى فى جميعهم ، وفى كل واحد منهـم وهى النفس العاقلة • ولهذه النفوس صار الانسان انسانا ، وهى أشرف جزئى الانسـان اللذين هما النفس والجسد •

فالانسان [فى] الحقيقة هو النفس العاقلة وهى جوهر واحد فى جميع الناس • فالناس كلهم بالحقيقة شىء واحد وبالاشخاص كثيرون • فإذا كانت نفوسهم واحدة فالمودة إنما تكون بالنفـس • فواجب أن يكونوا كلهم متحابين متوادين ، وذلك فى الناس طبيعـة لو لم تقـو فيهـم النفس الغضـبة • فإن هـذه النفس تحـب / لصاحبها الترأس فيعود صاحبها الكبر والاعجاب والتسـلط على المستضعف باستصغار الفقير وحسد الغنى وذى الفضل فتنتشب من أجل هذه الأسباب العداوات وتتأكد بينهم البغضاء •

فإذا ضبط الانسان نفسه الغضبة وانقاد لنفسه العاقلة صار الناس كلهم أحبابا واخوانا • فإذا أعمل الانسان فكره رأى أن ذلك واجب لأن الناس إما أن يكونوا فضلا أو نقصا[٣٣] فالفضلاء يجب عليه محبتهم لموضع فضلهم ، والنقص يجب عليه رحمتهم لموضع نقصهم[٣٤] • فيحق لمحب الكمال أن يكون محبا لجميع الناس متحننا عليهم ، رءوفا بهم ، وخاصة الملك والرئيس ، فإن الملك ليس يكون ملكا ما لم يكن محبا لرعيته رءوفا بهم • وذاك أن الملك ورعيته بمنزلة رب الدار وأهل

---

(٣٣) يقصد فضلاء أو ناقصون •

(٣٤) لعله يشير فى ذلك الى قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » الاعراف ١٩٩ وحكى عن الأحنف بن قيس انه قال : ما عادانى احد قط الا اخذت فى أمره باحدى ثلاث : خصال : ان كان اعلى منى عرفت له قدره ، وان كان دونى رفعت قدرى عنه ، وان كان نظيرى تفضلت عليه •

داره وما أقبح برب الدار أن يبغض أهل داره ، ولا يتحنن عليهم ويحب مصالحهم .

فعل الخـــير :

وينبغى لمحب الكمال أن يجعل همته فعل الخير مع جميع الناس ، وانفاق ما يفضل من ماله فيما يبقى له الذكر الجميل بعد موته ، ويتحرز من فعل الشر ، فإنه اذا جاشت نفسه علم أن من يفعل الشر فإنما يفعله لخير يعتقد أنه يصل اليه بذلك الشر وربما كان غالطا وربما كان مصيبا . فاذا علم أن الأمر على هذه الصفة كان واجبا أن يطلب الخير الذى تقدمه منطريق التشرد إذ كان هو الغرض المطلوب لا فعل الشر . وأما إن كان تشرره لشفاء غيظ يلحقه فيعلم أنه اذا ســكن غيظه وجد ذلك المقصود بالشر غير مستحق لذلك الفعل . ففعل الشر قبيح وخاصة بمن قد جمع الفضائل إلا أن يكون ذلك الشر تأديبا على جرم أو اقتصاص من جان[٣٥] فإن هذه الحال مستحبة محمودة . بل لا تعد شرا لأن ذلك الشر إنما يصل الى الجانى فقط ويكون منه نفع عام لجميع الناس بأن يرتدع به أمثاله من الجناة فتكون المنفعة فيه أكثر من المضرة فمن أجل ذلك لا يعد شريرا .

فإذا اعتمد الانسان فعل الخير وألفه وتجنب الشر واستوحش منه أنف من الأخلاق المكروهة التى تعد سما كالحسد والحقد والخبث والخديعة والملق والنميمة والغيبة والوقيعة بأمثال هــذه العادات . فإذا فكر العاقل المحصل فيها علم أنها غير مجدية عليه نفعا وهى مع ذلك تشينه وتقبح صورته . فإذا كان محبا للتمام مستشرقا للكمال كان واجبا عليه تجنب هذه الأخلاق .

---

(٣٥) فى الأصل جانى .

العيوب والقبائح :

وينبغى لمحب الكمال أن يعتقد أنه ليس شىء من العيـــوب والقبائح خافيا عن الناس فإن اجتهد صاحبها فى سترها فلا تطمع نفسه فى ارتكاب فعل قبيح يظن أنه يتكتم عن الناس حتى لا يقف عليه أحد ، ويجب أن يعلم أن الناس / بالطبـــع موكلون بتتبع عيوب النـــاس وتعييرهم بها وذلك فى الناس غريزة • والسبب فيه أن الانسان ما لم يبلغ التمام فليس يخلو من نقص يعاب به ، ويسوؤه أن يكون غيره أفضل منه • فهو يسر أن يكون الناس كلهم نقصا ليساووه فى النقص أو يكونوا دونه • فهو أبدا يتتبع معايب الناس ويعييرهم بها ليرى الناس أنه أفضل ممن فيه ذلك العيب ، ويشعر نفسه أيضا ذلك ليطيب بما فيها من العيوب • فليس شىء من العيوب بخاف عن الناس وإن اعتمد ستره •

وقد يظن كثير[٣٦] من الملوك والرؤساء أن عيوبهم مســـتورة عن الناس غير بادية وذلك لموضع هيبتهم وعظم سطوتهم ، يستشعرون أن حاشيتهم وخواصهم لا يجرءون على اظهار أسرارهم إن وقفوا على شىء منها ، وهذا نهاية الغلط ، لأن خواص الملك وحاشيته كما أنهم عنده ثقات أمناء كذلك لكل واحد منهم خاص وثقة يخرج اليه بأسراره والذى لا يستر الانسان عن أسرار نفسه فمحال أن تستر عنه أسرار غيره • وهذه الحال طريق الى انتشار معايب الملوك التى يظنون أنها مستورة •

والعلة فى ظنهم أن عيوبهم مستورة هو أنهم لا يسمعون أحدا يذكرها ، ولا أحدا ينصح اليهم بها فيظنون أنها خفية • فإذا أحب الانسان أن يعلم أن عيوبه غير خافية فليعد الى نفسه فينظر هل يعرف

---

(٣٦) فى الأصل كثيرا •

لأحد عيبا كان يستره ويخفيه فإنه يجد للناس عيوبا كثيرة قد اجتهدوا فى سترها وحرصوا على صونها ، ومنهم من يظن أنها خفية ، ومنهم من يعلم أنها قد انتشرت بعد الستر • فإذا علم أنه عارف بأسرار كثيرة من الناس كانت مستورة فالواجب أن يعتقد أن عيبه غير خاف ولا منكتم وأن الناس يعرفون من عيوبه أكثر مما يعرف من عيوبهم •

فينبغى لمن أحب الكمال أن يعتقد أن عيوبه ظاهرة وإن اجتهد فى إخفائها وليس بتام من عرف له عيب ولا طريق الى التمام إلا باجتناب جميع العيوب بالكلية والتمسك بالفضائل فى سائر الأمــور • وهذه الرتبة غاية تمام الانسانية ، ونهاية الفضيلة البشرية ، وواجب على كل انسان الاجتهاد فى بلوغها ، واستفراغ الوسع فى الوصــول إليها ، لأن التمام مطلوب لذاته والنقص مكروه لعينه •

أحقية الملوك بالتمــام :

فأحق الناس بطلب هذه الرتبة وأولاهم بالتحمل لبلوغ هــذه المنزلة الملوك والرؤساء ، لأن الملوك والرؤساء أشرف الناس وأعظمهم قدرا • وما أقبح بالشريف العظيم القدر أن يكون ناقصا • فالملوك اذن ينبغى أن يكونوا أشد الناس حرصا على بلوغ الكمال لأن الكامل من الناس الجامع للفضــائل مترتب بالطبــع على النقص من / الناس •

والانسان التام رئيس بالطبع فاذا كان الملك تاما جامعا لمحاسن الأخلاق محيطا بجميع المناقب كان ملكا بالطبع فإذا كان ناقصا كان ملكا بالقهر •

وما أولى بالملك أن يرغب فى الرياسة الحقيقية لا فى التى بالقهر ، والشرف الذاتى لا ما هو بالوضع • فالواجب أن يصرف الملك همته الى اكتساب الفضائل واقتناء المحاسن ، ويطلب الغاية من المكارم ويستصغر الكبير منها حتى يحوز جميعها ، ولا يرضى بالنهاية حتى

يزيد عليها • فإنه إن رضى برتبة فوقها رتبة لم يصر أبدا الى التمام فإن أبعد الناس من رضى لنفسه بالنقصان •

همـــة الملوك :

فإذا طلب الملك الكمال فأول ما يجب أن يعتاده عظم الهمة فإن عظم الهمة يصغر فى عينه كل رذيلة ، ويحسن له كل فضيلة • وإذا عظمت همة الملك سلم من الاعجاب بملكه ورأى أن نفسه وهمته أعظم قدرا من أن يستكثر ذلك الملك • فاذا احتقر الملك ملكه الذى به عزه وعظمته طلب لنفسه ما يعظمها بالحقيقة ، وليست تعظم النفس إلا بالفضائل • ثم ينبغى له أن يكره الملق ويبغض المتملقين وينهاهم عن تلقيه به •

عيـــوب الملوك :

وملاك أمره أن يتعرف عيوبه حتى يمكنه توقيها والتحرز منها ، وهذا فى الملوك أصعب لأن الانسان بالطبع يخفى عليه كثير من عيوبه فالذى يخفى على الملوك أكثر لاعجابهم بمحاسنهم وعظم مرتبتهم • وأيضا فإن الرعية والسوقة يبكتون بعيوبهم ويعيرون بها فهم يعرفونها والملوك لا يجسر أحد على تبكيتهم ولا يقدم أحـــد على نصـــحهم وتنبيههم على عيوبهم لأن الناس أجمع يعتمدون التقرب الى الملوك وتملقهم فلا يقولون لهم إلا ما يحبون لينالوا الحظوة عندهم •

فعيوب الملوك أبدا خفية عنهم فينبغى للملك إذا أحب أن يتنزه من العيوب [و] يتطهر من دنسها أن يتقدم الى خواصه وثقاته ومن يسكن الى عقله وفطنته من ندمائه وحاشيته فيأمرهم أن يتفقدوا عيوبه ونقائصه فيطلعوه عليها ويعلموه بها وينبغى له أن يتلقى من يهدى اليه شيئا من عيوبه بالبشر والقبول ويظهر له الفرح والسرور بما

---

(٤٠) كذا ولعلها يستهزئون •

أطلعه عليه بل المستحسن منه أن يجيز الذى يطلعه على عيوبه أكثر مما يجيز على الديح بالثناء الجميل ، ويشكر من ينبهه على نقصـــه وتجمل له منه بفعله • فإنه إذا لزم هذه الطريقة وعرف بها يسرع أصحابه وخواصه الى تنبيهه على عيوبه • فإذا نبه على ما فيه من النقص أنف منه واستشعر أن أوائك يعيرونه ويستصغرونه من أجله فيلزمه حينئذ أن يأخذ نفسه بالتنزه من العيوب ويقهرها على التخلص من دنسها • فإذا فعل ذلك وتوفر على اقتناء الفضائل وألزم نفسه التخلق بالمحاسن ولم يرض من منقبة إلا بغايتها / ولم يقف عند فضـــيلة إلا وطلب الزيادة عليها فاجتهد فيما يحسن سياسة نفسه عاجلا ويبقى له الذكر الجميل آجلا لم يلبث أن يبلغ الغاية من التمام ، ويرتقى الى النهاية من الكمال ، فيجوز السعادة الانسانية والرياسة الحقيقية ويبقى له حسن الثناء مؤبدا وجميل الذكر مخلدا •

فقد أتينا على صفة الانسان التام الجامع لمحاسن الاخـــلاق والطريقة التى تؤدى به الى هذه الرتبة وتحفظ عليه هذه المنزلة • وقد قدمنا ما يجب تقديمه من سياسة الاخلاق وتهذيب النفوس • فما أولى ممن نظر فى هذا القول وتصفحه وفهم مضمونه وتدبره أن يأخذ نفسه باستعمال ما بين من فصوله وتسويس أخلاقه بالطريق التى بين فى تضاعيفه ويجتهد كل الاجتهاد فى تجميل نفسه ويستفرغ غاية الوسع فى طلب تمامه فما أقبح النقص بالقادر على التمام والعجز بالمتمكن من الكمال • وهذا خير [ما] نختتم (به) القول فى الأخلاق •

فالحمد لله شكرا لمواهبه ، وهو حسبى توكلا عليـــه وعلما بالرجوع اليه •

بحرت رسالة سياسة النفوس لسنان بن ثابت بن قرة الحرانى •

والحمد لله رب العالمين وهو معتمدى •

خامســـــــا

رســالة تتضــمن آدابا وحــكمة

رســالة تتضمن آدابا وحكمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أســتعين

أدب الدين قبل الدين ، من لا أدب له لا دين له ، أشرف الغنى ترك المنى ، من عرف تصرف الأيام لم يغفل الاستعداد ، البخل جلباب المسكنة ، حسب الخلائق الوفا ، المودة قرابة مستفادة ، الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم •

التجنى أول ومد القطيعة ، لا تأمنن ملولا وإن تحلى بالصلة ، ليس فى الرق إلا مع مستنقع لمن يخوض الظلمة ، وصول معدم خير من جاف مكثر ، فقد الثقة من إخوانك قطع عضو من أعضائك ، الموعظة كهف لمن دعاها ، عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله ، من أطلق طرفه كثر أسفه ، من أحب ولا يعرف فإنما يمازح نفسه ، من حصن شهوته صان قدره ، مع الفراغ تكون الصبوة ، الخلاف يهدم الرأى ، القدرة تنسى الحفيظة ، من نال استطال ، فى تقلب الأحوال معرفة جواهر الرجال ، الأذى يجلب القلى ، الشكر عصمة من النقمة ، العقل صديق مقطوع والهوى عدو متبوع ، راكب العجلة مشرف على الكبوة ، الحسد للصديق من سقم المودة •

قل ما تصدقك الأمنية ، أكثر مصارع العقول تحت نزوق المطامع ، أنت أخو العز ما التحفت بالقناعة ، المخذول من كانت له الى الناس حاجــة •

لا بذل أعظم قدرا من المساعدة ، الهجران يكسبك عقوبة القسوة التواضع يكسوك المحبة ، فى كل طرفة حضرة •

الحزم الوقوف عند الشبهة ، حسب السرور يكون التنغيص ، مجىء القدر يسبق الحذر ، ابن آدم عرض الدول .

مدة الأبد تنقضى باليوم وغد ، مضى أمسك وعسى غدا لغيرك ، ورب هالك قبل انقضاء يومه .

القلب رهين وفكاكه ترك الطمع ، فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق احم نفسك القنوط وأحسن الظن بربك يسهل لك ما استصعب من رزقـــك .

المصايب مقسومة بالسوية بين البرية ، وكل منتظر آت ، وكأن قدر الموت كامن بالرصد . من لك بالاقالة عند ورود الحاقة .

من أشرف خصال الكرم غفلتك عما تعلم ، تجرع مضض الحلم يطفىء نار الغضب ، من يقدم حسن النية نصره التوفيق .

اللطافة فى الحيلة أجدى من الوسيلة ، لا تكن حازما حتى تكتم بعض ما تعلم ، تحر القصد يخف عليك القوت .

كل الناس مستزيد وراض عن عقله والعاقل من الهم رأيه ولم يثق بكل ما سولت له نفسه ، والجاهل لا يعرف تقصيره ولا يقبل من الفصـــح له .

المنقوص مستور عنه نقصه ولو عرف زيادة غيره عليه لتفطر حسرات ، بتقدير أقسام الله جل وعز لعباده فى الأرزاق اعتدل رزق العالم وتمت هذه الدنيا لأهلها : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض »[1] واستغنى بعضـــهم عن بعض وفســـد المعاش وبطل التسخير .

دنياك كلها وقتك الذى أنت فيه ، وانما عمرك أنفاسك وعليها رقيب يحصيها .

---

(١) الشورى : ٢٧ .
(٢) عبارة غير مقروءة .

الانقياد للشهوات أعظم أدواء الانسان وأكثر علاجها الحسم ، من سامح نفسه فيما تحب منه أتعب جوارحه وبعد حظه من الراحة ، الحريص أيسر مهـابة ... [٣] ، من تحلى بالقناعة فقد اسـتكمل الصيانة ، لا تطمع فى كل ما تسمع ، ليس عند تقويم العسير[٣] .

استر سوأة أخيك لما تعلم فيك ، أحق الناس بالرضا من عرف نقص الدنيا ، حوائج الدنيا تنهك القوى والأبدان ، من رزق القناعة صحبته المهابة ، ما أضر العجب بالمحاسن وأبينه للمساوىء ، حسن الخلق خير قرين ، والأدب خير معين ، لا مال أعود من عقل ، ولا فقر أشد من جهل ، ولا ظهر أوثق من مشورة .

خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم ، الصيانة رأس المروءة ، العجلة أخت الندامة ، الانقباض تكسبه القطيعة .

من استغنى كرم على أهله ، من استبد برأيه كان من الصواب بعيدا ، من أعجب برأيه لم يشاور ومن لم يشاور فهو الدهر عاثر ، ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق ، قل خيرا تغنم أو فاسكت تسلم ، لا فائدة أفضل من التوفيق ، من استقبل الأمور أبصر ومن استدبرها تحـير .

ليس كل من طلب وجد ولا كل من توقى نجا .

رب بعيد أقرب من قريب ، الأم اللؤم البغى عند القدرة ، قطيعة العاقل خير من صلة الجاهل ، ما أقرب النعمة من أهل التقى ، رأس الدين صحة اليقين ، تمام الاخلاص اجتناب المعاصى .

سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار . اقبل عذر من اعتذر إليك إذا لم يكن [له] حاجة اليك . اطع أخاك وان عصاك وصله وإن جفاك . عود نفسك السخا وعودها من كل خلق اكرمه ، نعم الطارد للهم اليقين .

---

(٣) كذا بالنص وهى غير مفهومة .

لا خير فى لذة تعقيب ندما .

العاقل من وعظته التجارب ، عاقبة الكذب القطيعة ، المسىء ميت وإن كان فى منازل الأحياء ، والمحســـن حى وإن كان فى منازل الأموات .

عليك باخوان الصدق فإنهم زينـــة فى الرخاء وعدة فى البلاء ، لا تعادين أحدا فإنك لا تخلو من عداوة عاقل أو جاهل فاحذر حيلة العاقل وشر الجاهل .

خصلتان تجمعان الكرم : أنصاف الناس من نفسك ومواساة الاخوان من مالك . عز المؤمن غناه عن الناس . القناعة مال لا ينفذ .

الناس أهل العالم ومن يقوم بحوائج الناس ، والملوك الزهاد ، والسفلة من يأكل بدينه .

ما حمدت نفسى على ظفر استدامته بعجز ، ولا لمتها فى مكرهة ابتدأتها بحزم .

كم مستقبل يوما لا يكمله ومنتظر غدا لا يبلغه . أنتقم من حرصك بالقنوع كما تنتقم من عدوك بالقصاص ، لا يستحق الرجـــل الثناء والمحمدة إلا بعد الايثار على نفسه ومغالبة الشهوة وكظم الغيظ بالحلم ، اجعل عقلك أمينك على خصالك ليعرفك ما تعمل به ثم انظر ما تحمده من غيرك فاقبله وما تذمه من سواك فلا ترض به ، ولا تأنس بما خفى من عيوبك ولم ينتشر عنك فإن أنسك بذلك ضراوة على المعاودة .

انما يبقى الشرف الأول لمن بنى فوقه مثله .

وصف حكيم رجلا فقال : كان لا يرى الافتخار بصواب كان منه ولا المباهاة برأيه ، ويوجب شكر من ينبهه على عيوبه إذا كان محقا ، وكان يحب التواضع ويأمر بالبشاشة ويحض على التودد للنـــاس ، ولا يحضر عدوه إلا بما يحب ونقول : فعل الحسنات عادة ، من بالغ

فى الخصومة ظلم ومن قصر فيها ظلم ، ولا يستطيع أن يتقى الله من خاصم •

قد ضاقت الأوقات وقرب انقطاع الانفاس وإنما أنتم فى بقايا فبادروا • والأمر أسرع من طرف العين • من لم ينتهز الفرصة فى وقت الامكان لحقه الندم فى وقت الوجود ، من عدم الفهم عن الله تبارك وتعالى فيما وعظه لم يستحق موعظة حكيم •

من لم يعرف حسن ما أوتى جهل موضع الشكر ، من تفهم أن من عطايا الله عز وجل المنع فهو جاهل بعطاياه •

إذا طالبتـك النفس يوما بشـهوة
وكان عليهـا للقبيـح طـريق

فدعها وخـالف ما اشـتهته فإنما
هـواك عـدو والخـلاف صـديق

كان لمحمد بن الحسن صديق نالته إضاقة[1] ثم ولى عملا فأثرى وانصرف منه فقصده محمدا مسلما عليه فرأى منه تغيرا فكتب إليه •

لئن كانـت الدنيـا أنالتـك ثروة
فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر

لقد كشـف الاثراء منـك خلائقا
من اللؤم كانت تحت ستر من الفقر[2]

الصبر على أخ تعتب عليه خير من أخ تستأنف مودته ، منـع

---

(١) لعل الصواب ضائقة .

(٢) وقد جاء فى القرآن الكريم فى هذا المعنى « ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » (التوبة ٧٥ — ٧٧) وجاء فى الحديث وان من عبادى من لا يصلح حاله الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله .

الجميع أرضى للجميع . ولم يرد قائله به ببخل، وإنما أراد أن يغلب عليه أن يعم لمن يحب أن يخص .

ونحو هذا ما حكى عن الأصمعى أنه كان يقول : لو قسمت فى الناس ألف درهم كان أكثر ..... (٣) .

وكان سهل بن هارون بن راهون الكاتب . كاتبا شاعرا بليغا وله كتب تدل على بلاغته وحكمته فيها كتاب يسميه غفرة ولعله يعارض به كتاب كليلة ودمنة ، وله كتاب فى وصف سيرة المأمون كثير المحاسن وله شعر كثير ، وعمل رسالة يمدح فيها البخل ويفضله على السخاء وهو من نهاية البلاغة أن يجعل الباطل حقا والحق باطلا بتحسين الألفاظ وتسخير المعانى وكان يقول : التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة .

كتب الفضل بن الربيع إلى الحسن بن سهل انما يرغب فى الدنيا الكرام للقدرة على اكتساب المكارم واتخاذ الصنايع ، وأرجو أن تكون رغبتك فى ذلك على قدر النعمة عليك .

تمت الملح الأدبية ولواحقها بمعونة الله تعالى ولطفه . لا إله إلا هو فاتخذوه وكيلا .

(٣) عبارة غير مقروءة ولعلها (نفعا مما لو اخذها واحد منهم) .

ثبت بأهم المراجــع والمصــادر

أولا :

- القــرآن الــكريم
- كتــب الصحاح
- الأعلام للزركلى
- تاريخ الحكماء للقفطى
- طبقات الأطباء لابن أبى أصبيعة
- القاموس المحيط الفيوزبادى
- كشف، اصطلاحات الفنون التهانوى
- لسان العرب لابن منظــور
- معجم الأدباء لياقوت الحموى •

ثانيــا :

- ابن حــزم : الأخلاق والسير فى مداواة النفوس • نشر بيروت دار مكتبة الحياة • بدون تاريخ •

  — رسائل ابن حزم • تحقيق د• احسان رشيد عباس • مكتبة الخانجى بمصر والمثنى ببغداد • بدون تاريخ •

- ابن ســـينا : أحوال النفس رسالة فى النفس الانسانية وبقائها ومعادها ، تحقيق د• أحمد فؤاد الأهــوانى ، الطبعة الأولى — القاهرة — دار احياء الكتــب العربية ١٩٥٢ وضمن هذه الرسالة ثلاث رسائل أخرى هى:

— مبحث عن القوى النفسانية .
— رسالة فى معرفة النفس الناطقة وأحوالها .
— رسالة فى الكلام على النفس الناطقة .
— الشفاء — الطبيعيات — النفس . تحقيق جورج قنواتى ، مصر ١٩٧٥ .

— ابن القيم : الروح ، حيدر آباد ، الدكن ١٣٥٧ هـ .
— ابن مسكويه : الفوز الأصغر . تحقيق د. عبد الفتاح أحمد فؤاد . منشورات دار الكتاب الليبى ١٩٧٤ .
— أبو نعيم الأصفهانى : الحلية ، الطبعة الرابعة ١٩٨٥ ، دار الكتاب العربى .
— د. أبو الوفا التفتازانى : مدخل الى التصوف الاسلامى . القاهرة ١٩٧٤ .
— د. أحمد عكاشة : علم النفس الفسيولوجى . الطبعة السادسة القاهرة . دار المعارف ١٩٨٢ .
— أرسطو : كتاب النفس . تحقيق د. أحمد فؤاد الأهوانى ، مراجعة جورج قنواتى . الطبعة الأولى . القاهرة دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٩ .
— د. زكى مبارك : الأخلاق عند الغزالى : دار الكتاب العربى القاهرة ١٩٦٨ .
— أفلاطون : فيدون : ترجمة عزت قرنى . القاهرة . دار النهضة ١٩٧٣ .
— طيماوس : ترجمة فؤاد جرجس بربارة ، دمشق ١٩٦٨ .
— الغزالى : احياء علوم الدين . القاهرة ١٣٣٤ هـ .
— معارج القدس فى مدارج معرفة النفس . القاهرة ١٩٣٢٧ .
— القصور العوالى من رسائل الامام الغزالى .

— الفـــــارابى : آراء أهل المدينة الفاضلة ، تحقيــق د. البير نصرى نادر . بيروت ١٩٥٩ .

— فصوص الحكم . ضـــمن الثمرة المرضية . ليـــدن ١٨٩٢ م .

— فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير ، القاهرة ١٢٨٩ هـ .

— الكنـــــدى : رسائل الكندى الفلسفية . تحقيق د. محمـــد عبد الهادى أبو ريدة . القاهرة ١٩٥٠ .

— رسالة الكندى فى العقل .

— رسالة فى الحيلة لدفع الأحزان ضمن كتاب رسائل فلسفية . تحقيق د. عبد الرحمـــن بدوى . بيروت ١٩٧٣ .

— د. محمود قاسم : فى النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام القاهرة ١٩٦٢ .

— محمد حسين الطباطبانى : الميزان فى تفسير القرآن . بيروت ١٩٧٣ . الطبعة الثالثة .

— يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦ .

الفهـــــرس

الصفحة

كتـب للمؤلف

- أسهل طريق فى النحو والتطبيق . مطبعة راشد . القاهرة ١٩٧١
- الألوهية فى الفلسفة . مكتبة الشباب . القاهرة ١٩٨٣ .
- عقيدة المعاد بين الدين والفلسفة . دار العروبة بالكويت ١٩٨٤
- البعث والنشور للبيهقى (تحقيق) دار العروبة بالكويت ١٩٨٤
- أصالة التفكير الاسلامى . مكتبة دار العلوم ١٩٨٤ .
- فى العقيـدة . مكتبة دار العلوم ١٩٨٥ .
- أصول الملامتية وغلطات الصوفية للسلمى (تحقيق) القاهرة ١٩٨٥
- الفلسفة أعلامها ومعالمها ، مكتبة العلوم ١٩٨٥ .
- العقيـدة : دراسة مقارنة . القاهرة ١٩٩١ .
- المنطق . عرض ونقد : جـ ١ ، القاهرة ١٩٩١ .
- المنطق . عرض ونقد : جـ ٢ القاهرة ١٩٩١ .
- التصوف عقيدة وسلوكا : مكتبة الزهراء ١٩٩٢ .
- المسيحية بين النقل والعقل : القاهرة ١٩٩١ .
- سياسة النفوس لسنان بن ثابت : القاهرة ١٩٩١ .

(تحت الطبـع)

- من قضـايا التراث .
- كتاب تقويم النظر لابن البرهان (تحقيق) .

رقم الايداع : ٨١٨١ / ١٩٩٢
الترقيم الدولى
977 — 00 — 4165 — 3

المطبعـــة الاسلامية الحديثة
٤٢ (أ) شارع دار السعادة ـــ حلمية الزيتون
القاهرة ـــ تليفون ٢٤٦٦٩٣٨